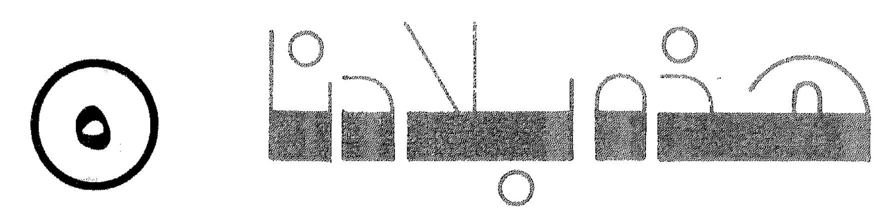
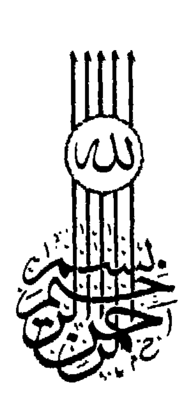


المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
الشئون الثقافية
القسم الأدبي

بلاد زهران




بسم الله الرحمن الرحيم



هذه بلادنا

لمحات عن منطقة



تأليف

د. محمد مسفر حسين الزهراني

(١٤٠٣هـ)

الطبعة الأولى

المملكة العربية السعودية

البحر المتوسط
بادية الشام
صحراء النفود
جبل شمر
القصيم
الوشم
الربع الخالي
حضرموت
اليمن
الخليج العربي
بحر عمان
عمان
ظفار
البحر العربي
المحيط الهندي
البحر الأحمر
إيران
السودان
الحبشة
سيناء

عمان
القدس
غزة
القاهرة
السويس
العقبة
الطور
معان
الجوف
سكاكا
تيماء
تبوك
مدائن صالح
العلا
الوجه
ضبا
أملج
ينبع
المدينة المنورة
خيبر
الحناكية
عفيف
رابغ
جدة
مكة المكرمة
الطائف
تربة
الليث
القنفذة
بيشة
السليل
الأفلاج
المبرز
جيزان
نجران
حائل
النجف
السماوة
البصرة
الزبير
الأهواز
الكويت
حفر الباطن
قريات العليا
الجبيل
القطيف
البحرين
الهفوف
العقير
حرض
الرياض
الدرعية
الخرج
اليمامة
يبرين
مسقط
صحار
شناص
رأس الخيمة
أم القيوين
دبي
بندر عباس
بوشهر
نزوى
صور
الحد
صوقرة
سلالة
مرباط
الغيضة
قشن
الشحر
المكلا
شبوة
مأرب
صنعاء
الحديدة
بيت الفقيه
تعز
المخا
عدن
المحفد
حوطة
صبيا
اللحية
مصوع
سواكن
بورسودان
حلايب
القصير
سفاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني أن أقدم باكورة الإنتاج في سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة وتعمل على تسجيل التراث الفكرى والفني والعادات والتقاليد في المملكة . . . هذا بالإضافة إلى كونها تجميعا لنشاط المحاضرات الذى تقوم بتنفيذه إدارة الشؤون الثقافية .

ولعلنا بهذا العمل نساهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراساً هادياً لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم . .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الطريق وتوفر له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد . . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم ، وكثيراً ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع . .

وإنه من الأفضل لأي أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء . .

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمـــو والازدهـــار . . ولإدارة الشؤون الثقـافيـة التي تقـوم بإصدارها التوفيق والنجاح . . ، ، ،

الرئيس العام لرعاية الشباب
فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

سلسلة كتب (اعرف بلادك)

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتداداً طبيعياً لنشاط إدارة الشؤون الثقافية في مجال المحاضرات . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . فإن كان صغيراً يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيراً فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعاً لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله .

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع الى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته .

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ،

إدارة الشؤون الثقافية



مقـدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد . ،

تعـد منطقـة بلاد زهـران من المنـاطق الهـامة في المملكة العربية السعودية ، فهي بحكم موقعها الجغرافي همزة وصل بين المنطقتين الغربية والجنوبية ، كما أن ثرواتها الزراعية والحيوانية تجعلها رافداً هاماً من روافد الإنتاج الذى يغذي أسواق المملكة ، ولهذا علقت عليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب أهمية خاصة ، ودعتنى بصفتي واحداً من أبناء المنطقة لكتابة شيء عنها يوضح موقعها وتاريخها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وها أنذا ألبي شاكراً جهود الرئاسة العامة ، وأقدم هذا البحث المتواضع ، متحرياً في تدوينه الصدق والأمانة العلمية والبعد عن العـاطفـة ، ومعتمـداً بعـد الله على مشـاهداتى وما لمسته بنفسي من أحوالها ، بالإضافة إلى معلومـات بعض كبـار السن من رجـالها ممن يوثق فيهم . هذا فضلاً عن رجوعي إلى ما كتب عن بلاد زهران في الكتب التاريخية والأدبية القديم منها والحديث وقد حرصت قدر الامكان على اختصـار البحث ، إذ خير الكـلام ما قل ودل ، ولي أمـل في الله كبـير أن تلقى هذه الصفحـات بعض الضـوء على أحـوال هذه البـلاد ، ليتعـرف من خلالها بقية سكان مملكتنا الناهضة على مجريات الأمور في هذا الجزء من بلادهم ، بلاد الأمن والرخاء والاستقرار.

وقد تحدثت بتركيز تام عن الموضوعات التالية :

١ ـ لمحة جغرافية

٢ ـ نبذة تاريخية

٣ ـ الناحية الإدارية

٤ ـ الحياة الاجتماعية

٥ ـ الحياة الاقتصادية

٦ ـ السياحـة

٧ ـ التعلـيم

٨ ـ مظاهـر التطـور

والله الموفق والهادى إلى ســـواء السبيل ، ،

الدكتور/ محمد بن مسفر حسين الزهراني

لمحة جغرافية

الموقع والحدود والسكان :

تقع بلاد زهران في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية في أواسط جبال الحجاز وتهامة أي بمحاذاة الليث شرقاً. وتبعد عن مدينة الطائف مائة وثمانين كيلومتراً تقريباً، وهي بالنسبة لها في الجنوب الشرقي. كما أنها تبعد عن (أبها) مركز منطقة عسير (١٢) مرحلة للمشاة أو تزيد. (١)

ويحدها شمالاً بالحارث «بنو الحارث» وبنو مالك، وجنوباً بلاد غامد وزبيد وغرباً إمارة الليث والبحر والأحمر، وشرقاً بادية غامد (جبال عيسان).

ويقدر سكانها (٣٥٠,٠٠٠) بثلاثمائة وخمسين ألف نسمة تقريباً جميعهم من الحضر، ويسكنون ما يقارب (٥٠٠) خمسمائة قرية، منتشرة في كافة أنحاء بلاد زهران: سراة، وتهامة.

السطح :

ينقسم سطح بلاد زهران إلى قسمين رئيسيين هما :

١ ـ مرتفعات جبال السراة.

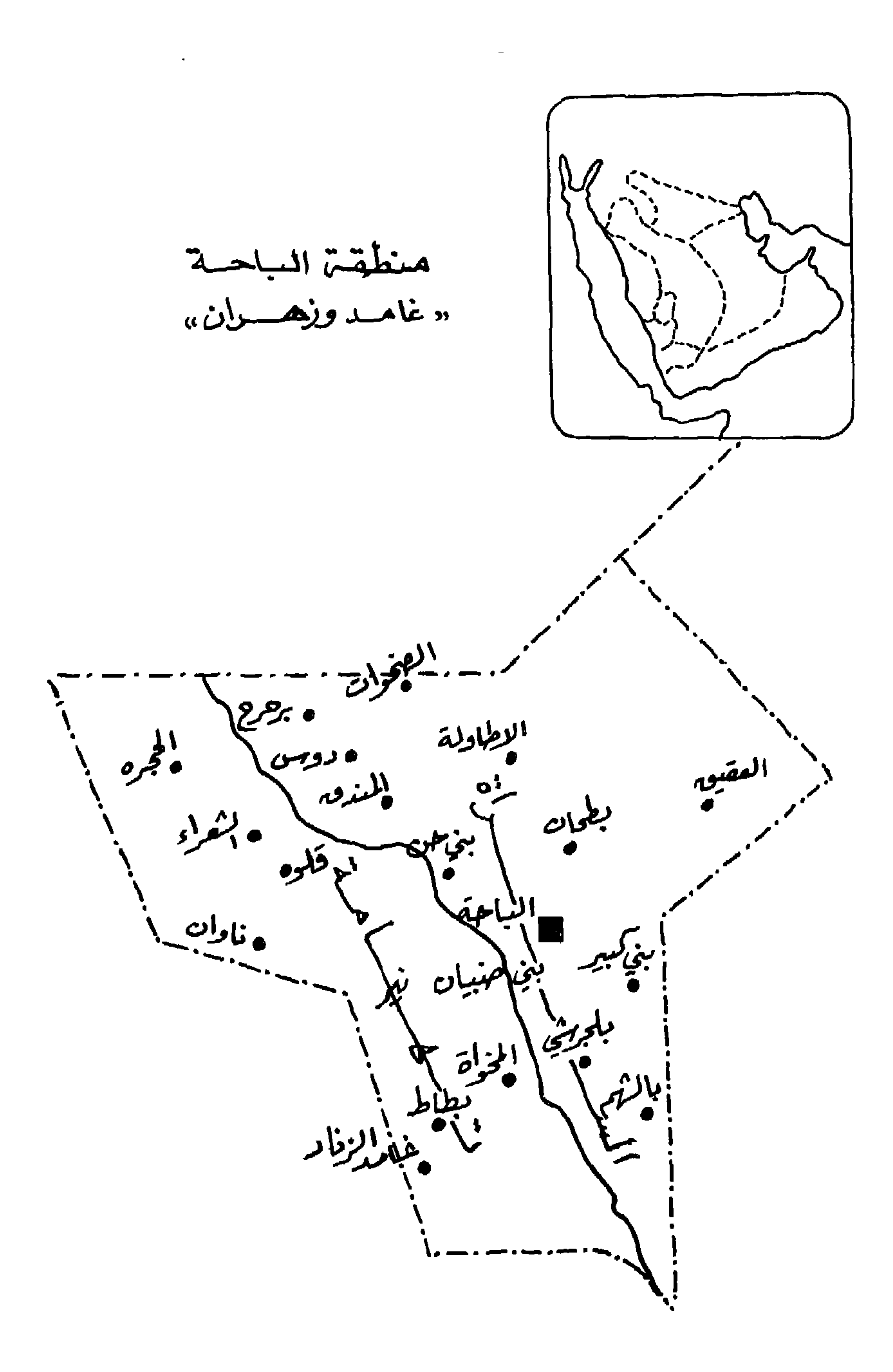
٢ ـ سهل تهامة.

١ ـ مرتفعات جبال السراة :

تقع هذه المرتفعات شرق سهل تهامة، وهي جزء من سلسلة جبال السروات الممتدة على طول ساحل المملكة العربية السعودية الغربي، وهي جبال شديدة الانحدار ـ نحو الغرب ـ قليلة المنافذ، صعبة المسالك، يزيد ارتفاعها على (٢٢٠٠) متر تقريباً، فوق سطح البحر. ومن أهم جبالها وأشدها ارتفاعاً جبال بيضان، وجبل

---

(١) فؤاد حمزة ـ في بلاد عسير ـ ص (٨٧)


منطقة الباحة
« غامد وزهران »
دوس
الإطاولة
الجحره
المندق
العقيق
بطحان
الشعراء
ام قلوه
بني حسن
الباحة
ناوان
بني كبير
بني ظبيان
بلجرشي
المخواة
غامد الزناد

الانصب، وجبل سيحان والعرنين وجبل الازهر، وجبل شمرخ، وجبل البراقه . وتحصر هذه الجبال فيما بينها أودية كثيرة جداً أهمها :

ا ـ **وادي تربة :**

وهو أطول أودية بلاد زهران وأوسعها حوضاً ، ويبدأ من سفوح جبال بيضان وبني حسن ، ويتجه شمالاً حتى ينتهي في تربة النخل ويزيد طوله على (٣٠٠) كيلومتر على وجه التقريب ، ومياه هذا الوادي لا تنقطع معظم أيام السنة .

ب ـ **وادي بطحان :**

ويبدأ من سفوح جبال بني عامر وبني حسن ويتجه أيضاً نحو الشمال حيث يلتقي مع وادي تربة على بعد (١٥٠) كيلومتر من منبعه ، ويكونان معاً وادياً واحداً ، وهذا الوادي في شرق بلاد زهران .



وادي مُليب بتهامة زهران ، ويظهر على جوانبه شجر الأراك

جـ ـ أودية قصيـرة أهمها:

١ ـ أودية رمس والحوية والشاعر والحبارى ومعداه والجنش وتصب في وادي تربة.

٢ ـ أودية منضحة ومنحل والتويبات، وتصب في وادي بطحان وقد قامت سلسلة جبـال السـراة سداً منيعـاً من الغـرب، بحيث يتعـذر عبورها إلا من فجوات حفـرتهـا الطبيعـة، ونحتتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية، ويطلق سكان بلاد زهـران على تلك الفجـوات اسم العقـاب ومن أهمها: عقبة ذي منعة، وعقبـة السعـبرة بدوس، وعقبـة بلخـزمـر، وعقبـة بعـره، وعقبة الجوفاء ببني حسن، وعقبة مساعد ببيضان.

وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لما ما(١)، وهذا مكنها من الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة.

٢ ـ سهـل تهامـة:

سهل تهامة زهران جزء من سهل تهامة الذي يمتد من أقصى شمال المملكة العربية السعودية إلى أقصى جنوبها، والمنحصر بين سلسلة جبالْ السروات شرقاً والبحر الأحمر غربـاً. ويـتراوح طول سهـل تهامـة زهران من تهامة بني مالك شمالاً، إلى زبيد وغامد الـزنـاد جنـوباً، ما بين ١٥٠، ٢٠٠ كيلومتر تقريباً، ويتراوح عرضه من جبال السراة شرقا إلى الحدود الإدارية لإمارة الليث والبحر الاحمر غرباً ما بين (١٠٠، ١٥٠) كيلو متراً تقريباً.

ويأخذ سهل تهامة زهران في الارتفاع التدريجي كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق ولهذا نجد سطحه يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١ ـ تهامة الساحل في الغرب (ويطلق الأهالي على هذا الجزء من سهل تهامة «الخبت»).

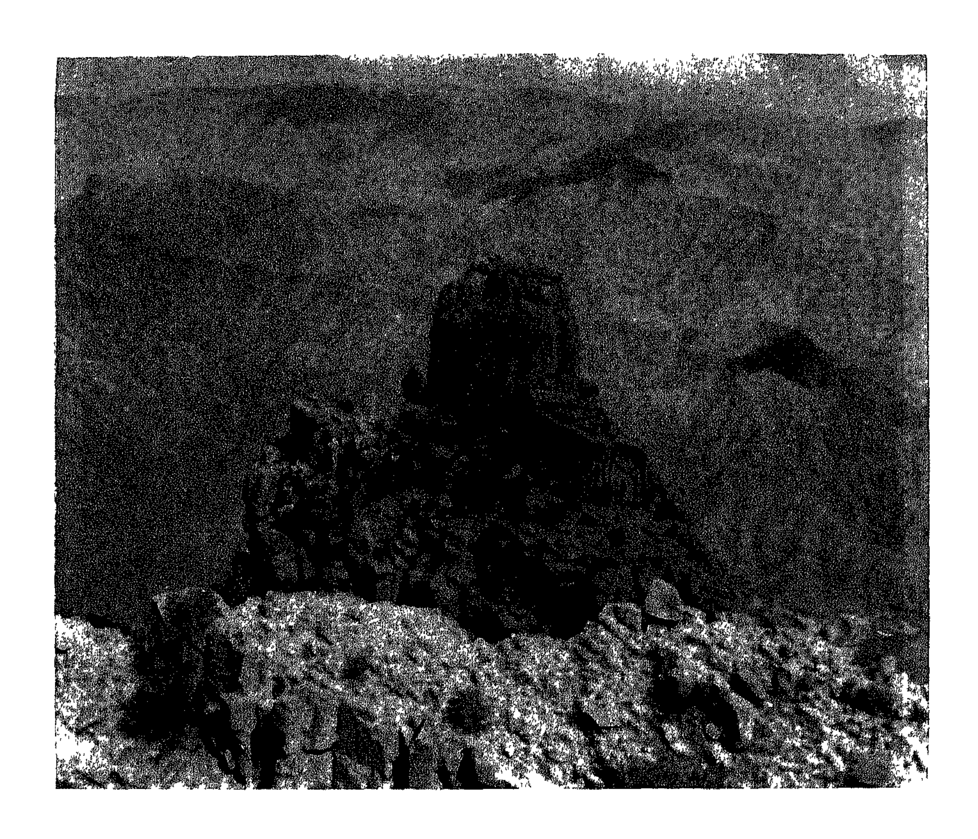
٢ ـ تهامة العروض في الوسط، وتكثر فيها الجبال المعترضة ذات الارتفاع الشاهق.

٣ ـ تهامة الإصدار في الشرق.

---

(١) فؤاد حمزة ـ في بلاد عسير ـ ص (٩١)

ويـوجـد فيهـا جبـال شاهقة الارتفاع غزيرة المياه، خصبة التربة آهلة بالسكان أهمهـا: جبـل شدا زهـران، وجبـل نيس، وجبـل ربا، وجبل نخرة، وتشتهر هذه الجبال بزراعة البن والموز والليمون، وفي قممها تعيش الوحوش الكاسرة كالذئاب والنمور.



قمة قارة في جبل شدا بتهامة زهران

وتتجـه أوديـة سهـل تهامة زهران من الشرق إلى الغرب وتصب في البحر الأحمر ومن أهمها: وادي دوقه ووادي ناوان ووادي الاحسبة، ووادي رما، ووادي غليله، ووادي لقط، وعلى حوافها تقوم قرى تهامة.



جانب من وادي شروق ببلاد دوس في سراة زهران

المنـــاخ :

منـاخ بلاد زهـران غني عن التعريف، ويمتاز بلطفه واعتداله مما سيجعل هذه البلاد في المستقبـل القـريب من أكبر وأجمل مصائف المملكة العربية السعودية التي يؤمها الناس هرباً من حرارة الصيف ورطوبته.

ويمكن أن نفرق هنا بين نوعين من المناخ هما :

١ ـ مناخ مرتفعات جبال السراة.

٢ ـ مناخ سهل تهامـة.

١ ـ مناخ مرتفعات السـراة :

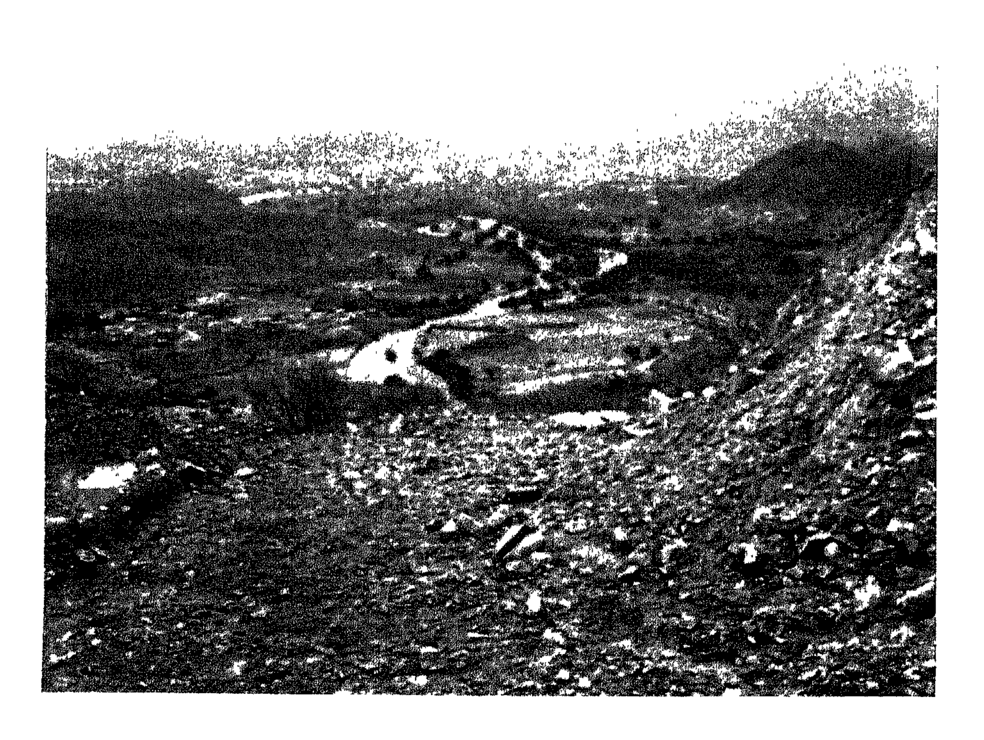
وهذا المناخ يشبه إلى حد كبير مناخ (الهدى) وهوعموماً معتدل جاف صيفاً، بارد ممطـر شتـاء، وتهب في فصـل الصيف الرياح الشمالية الشرقية، وهي رياح جافة، لأنها تهب من مناطق جافة، أما في فصل الشتاء، فتهب الرياح الجنوبية الغربية، وهي رياح

ممطرة تتشبع بالرطوبة أثناء مرورها على البحر الأحمر.

٢ ـ مناخ سهل تهامة

حار شديد الرطوبة صيفاً، معتدل ممطر شتاء، ويتعرض سهل تهامة لهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة في فصل الصيف، وهبوب الرياح الجنوبية الغربية الممطرة في فصل الشتاء.

وتقل كمية الأمطار الساقطة على بلاد زهران على وجه العموم بالتدريج كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، وبالتالي تتدرج الحياة النباتية من أشجار كثيفة في الغرب إلى شجيرات ونباتات فقيرة في أقصى الشرق.



وادي نيرا ويقع في غرب جبل شدا بتهامة زهران



نبـذة تاريخية

ستتحـدث في هذا القسم بتركيـز عن تاريـخ بلاد زهـران قديماً وحديثاً لإعطاء القارىء الكريم صورة واضحة عن ماضي هذه القبيلة وحاضرها.

١ - تاريخ بلاد زهران قديماً:

زهران قبيلة أزدية قحطانية يتصل نسبها بالأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهـلان بن سبأ بن يشجب بن يعـرب بن قحطـان (١) وأخذت هذه القبيلة اسمها من جدها زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد (٢). وكـانت قبيلة زهـران ضمن قبـائـل الأزد التي نزحت من اليمن، وتفرقت في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية. وتروى لنا المصادر التاريخية قصة نزوح قبائل الأزد من اليمن، وتتلخص في أن عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف كان من أعظم ملوك مأرب في الـزمن القـديم، وكـان له حول سد مأرب كثير من الحدائق لدرجة أن الجارية كانت تمشي من بيتهـا وعلى رأسهـا مكتـل فيمتلىء فاكهة من غير أن تلمس شيئا. ويقال أن عمرو خرج يوما يتنزه حول سد مأرب فرأى جرذا يحفر في السد، فأدرك أن السد مهدد بالانهيـار، الأمـر الـذي جعله يعـزم على الانتقـال من اليمن الى بلاد اخرى (٣) فدبر مكيـدة تمكنـه من الارتحـال دون أن يتأثـر قومـه، فأمر أصغر أولاده أن يتشاجر معه أمام الناس وإذا أغلظ عليه ولطمه رد عليه اللطمة. ففعل ابنه ذلك فقال عمرو: «لا أقيم ببلد لطم فيه وجهي أصغر ولدي» وبالتالي باع أملاكه لأشراف اليمن من حمير ونزح، فقـالت الأزد «لا نتخلف عن عمـرو بن عامـر» وخـرجـوا معـه (٤)، وافترقوا إلى نيف وعشرين قبيلة، منها: غسان، وجفنة، والأوس والخزرج، وخزاعة ومازن وثمالة وخثعم

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٩

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٦

(٣) الزركلي: الاعلام، جـ ٥ ص ٢٤٩

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ١ ص ٩ الهمداني: صفة جزيرة العرب ص ٣٦٩ ابن عبدربه: العقد الفريد، جـ ٣، ص ٣٧٥

وزهران وغامد (١) . . فنزلت الأوس والخزرج يثرب (المدينة المنورة) ونزلت خزاعة بطن مر بالقرب من مكة، ونزلت زهران وغامد مرتفعات السراة. وسار بعض أولاد دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران الى أرض تهامة فأقاموا بها(٢).

وأنا أرى أن هذا السبب ليس كافياً لنزوح الأزد من اليمن وأرجح مارواه الزركلي (٣) ومؤداه أن دولة سبأ ضعفت في عهد عمرو بن عامر فتغلب بدو كهلان على أرض سبأ، وعاثوا فيها فساداً، فأهمل سد مأرب فتصدع وخرب، فنزحت قبائل الازد من موطنها نتيجة لذلك. .

ويلاحظ أن بعض رجال زهران اتجهوا إلى شرق الجزيرة العربية، وكونوا إمارة عربية في عمان قبل الإسلام (٤). كما عبر قسم آخر الخليج العربي إلى بلاد فارس وسكنوا أحد جبال كرمان ويدعى الفقس (٥) وسكن بعض الدوسيين الحيرة ونواحيها من بلاد العراق وأسسوا مملكة بها، كان من أشهر ملوكها جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الملقب بالابرش (٦).

ويلاحظ أن لفظ (دوس) قد طغى إلى حد كبير على لفظ (زهران) في الجاهلية وصدر الإسلام، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يكتفون بذكر دوس بدلاً من زهران بينما ظن آخرون أن دوسا قبيلة مستقلة تماماً عن زهران، وهذا خطأ، فدوس قبيلة من قبائل زهران، وجزء لا يتجزأ منها (٧) . . وأفضل تعليل لغلبة اسم دوس هو ما ذكره الشيخ حمد الجاسر (٨) ومفاده أن رجال قبيلة دوس انتشروا خارج بلادهم، وتمكن بعضهم من تأسيس إمارتين عربيتين في عمان والحيرة. كما أن بعض الدوسيين سارعوا في قبول الدعوة الإسلامية فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام، وبرز بعضهم في جانب من جوانب المعرفة. هذا فضلاً عما عرف عن رجال دوس من إخلاص وصدق في تلقي

(١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٤ ص ٢٦٠

(٢) حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٢٣، نقلا عن كتاب السيرة المنسوب لدغفل (مخطوط) ورقة ٥٨

(٣) الاعلام: جـ ٥ ص ٢٤٩

(٤) الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٦٢

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٤ ص ٣٨٠ - ٣٨١

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: جـ ١ ص ٢٠٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٢٧

(٧) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٤٩٦

(٨) في سراة غامد وزهران، ص ٢٦٦ - ٢٦٧

الـدعـوة، ومـا أظهـروه من شجاعة وإقدام في الفتوحات الإسلامية مما زاد في رفع منزلة القبيلة واشتهـارهـا. وعلى هذا الأسـاس إذا قلنا الطفيل بن عمرو الدوسي أو الزهراني فالنسبة في كلتا الحالتين صحيحة.

٢ ـ الحالة الدينيـة:

كانت عبادة الأصنام هي العبادة السائدة في بلاد زهران في الجاهلية، وكان لزهران أصنامها المشهورة شأنها في ذلك شأن قبائل العرب آنذاك، ومن أشهر تلك الأصنام ذو الكفـين وذو الخلصـة وذو الشـرى(١). وقـد بعث رسول الله ﷺ سنة ٨هـ سرية بقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي إلى بلاد زهران فهدم ذا الكفين(٢). كما أرسل الرسول ﷺ جرير بن عبدالله البجلي في مائة وخمسين فارساً لهدم ذى الخلصة، فهدمه جرير، وأحرقه بالنار(٣).

ولما بُعث رسـول الله ﷺ ودعا الناس الى الدخول في الإسلام كانت قبائل زهران من السبـاقـين إليـه، فأسلموا وحسن إسلامهم، وتذكر لنا الكتب التاريخية قصة طويلة عن إسلام زهران، مفادها أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم إلى مكة المكرمة، ورسول الله ﷺ بها فخشى رجال قريش أن يستجيب الطفيل لدعوة الرسول فيدخل في الإسلام فاجتمعـوا به، وحـذروه من الاستـماع للرسول عليه الصلاة والسلام، ومازالوا به حتى صمم على أن لا يسمـع منـه شيئـاً، غير أن الله أراد خلاف ذلـك حيث دخل الطفيل البيت الحرام، وكان رسول الله ﷺ قائماً يصلى بجوار الكعبة، فسمع كلاماً حسناً ألان قلبـه، وملك عليـه جوارحـه، فأسلم وحسن إسلامه (٤)، وعاد إلى بلاد دوس بزهران ودعا قومه للإسلام فأسلم جماعة منهم وقدم معه إلى المدينة المنورة سبعون أوثمانون أهل بيت، وكـان رسـول الله ﷺ آنـذاك في غزوة خيبر، فيقال أنه قسم لهم من غنيمتها (٥) وهكذا دخل رجال زهران في الإسلام، وأظهروا قدراً كبيراً من الصدق والإخلاص في تلقي الـدعـوة، ويـذكـر السمعـاني(٦) أن الطفيـل بن عمـرو الـدوسي قدم إلى

(١) انظر: كتاب الأصنام لهشام بن محمد الكلبي
(٢) الواقدى: المغازى جـ ٣ ص ٩٢٣، ابن سعد: الطبقات، جـ ٢ ص ١٥٧
(٣) الكلبي: الأصنام، ص ٣٤، الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١ ص ٣٧٨
(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ١ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨
(٥) ابن سعد: الطبقات، جـ١ ص٣٥٣، الواقدى: المغازى، جـ ٢ ص ٦٨٣
(٦) الأنساب: جـ ٥ ص ٤٠١

رسـول الله ﷺ قبـل هجـرته الى المدينة، وعرض عليه أن يذهب معه إلى بلاد دوس، ليتـولى رجـال دوس نصـرته وقال له: «هلم إلى حصن حصين، وعدد وعدة» ويصف السمعاني بلاد دوس بأنها كانت بلاد حصينة منيعة «في رأس جبل لا يؤتى إلا في مثل الشـراك» كما أظهـر رجـال زهران قدراً كبيراً من الشجاعة والإقدام وأبلوا بلاء حسناً في الفتوحات الإسلامية، فشاركوا في فتح مصر (١) وفي فتح بلاد العراق (٢) والشام (٣) والأندلس (٤) ولعب الطفيل بن عمرو الدوسي وابنه عمرو دوراً بارزاً في قتال المرتدين، وقتل الطفيل رضي الله عنه في معركة اليمامة (٥).

وكـان رسـول الله ﷺ يثق في رجـال قبيلة دوس الـزهـرانية ويعتمد عليهم في مهام الأمور وعلى سبيل المثال يذكر بعض المؤرخين (٦): أن الرسول ﷺ أعد العدة في السنة الثامنة من الهجرة لغزو الطائف، فبعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى بلاد دوس لهدم الصنم «ذا الكفـين»، وأمـره أن يعد قومه ويوافيه بالطائف، فاستجاب الطفيل لذلك، وذهب الى الطـائف بعـد هدم الصنم المذكور في أربعمائة مقاتل من قومه، ومعهم دبابة ومنجنيق، وشاركوا في تلك الغزوة.

ولمـا توفي رسـول الله ﷺ خشي سواد بن قارب الـدوسي أن يرتـد رجال دوس عن الاسلام فخطب فيهم خطبة بليغة، منها:

«يـا معشـر الأزد ان سعـادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، وان من لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل ... الخ» (٧).

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٣ ص ٢٢
(٢) ابن حجر: الإصابة، جـ٢ ص ٥٣٦
(٣) الواقدي: فتوح الشام، جـ١ ص ١٥٦
(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٣
(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١ ص ٤١١
(٦) الواقدي: المغازي، جـ٣ ص ٩٢٣
ابن سعد: الطبقات، جـ٢ ص١٥٧
(٧) السهيلي: الروض الأنف، جـ١ ص١٤٠

فأجابه القوم، والتزموا بقوله، فقال في ذلك:

جلتْ مصيبتك الغداة سواد | وأرى المصيبة بعدها تزداد
ابقى لنا فقد النبي محمد | صلى الاله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا | وهل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعا | جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا | وتصدعت وجدا به الاكباد
كان العيان هو الطريف وحزنه | باق لعمرك في النفوس تلاد
ان النبي وفاته كحياته | الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمدا | بذلت له الاموال والاولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها | هذا له الاغياب والاشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينا | لو كان يفديه فداه سواد
اني احاذر والحوادث جمة | أمرا لعاصف ريحه ارعاد
ان حل منه ما يخاف فأنتم | للارض ان رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب | زدتم وليس لمنية مزداد(١)

٣ ـ أشهر رجال زهران في الجاهلية والإسلام:

برز من زهران رجال كثيرون اشتهروا بالبسالة والحكمة في الجاهلية والعلم والأدب في الإسلام، فكان منهم الملك المهيب والقائد الباسل والمحدث الثقة والأديب اللامع والشاعر المجيد، وسنترجم هنا لبعض هؤلاء الرجال على سبيل الاختصار لا الحصر.

ا ـ في الجاهلية:

١ ـ جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس:

كان من أفضل ملوك العرب رأيا وحزما وشجاعة(٢)، وكان والده مالك بن

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ مختصر سيرة الرسول، ص ٦٢
(٢) الطبري: جـ١، ص٦١٢

فهم أول ملك للعرب في بلاد العراق، وحكم لمدة عشرين سنة [1]، ثم خلفه ابنه جذيمة فحكم ستين سنة [2]، ويذكر الجاحظ [3] أن جذيمة من أشهر القدماء في الحكمة والخطابة والرئاسة، وهو أول من أسرج الشمع، ورمى بالمنجنيق.

٢ ـ حمة بن الحارث بن رافع الدوسى:

سيد دوس في الجاهلية، ومن أسخى رجال العرب آنذاك، وهومطعم الحاج بمكة في موسم الحج [4]، وقد اشتهر بالحكمة وسداد الرأي وسرعة البديهة [5].

٣ ـ عمرو بن حمة بن الحارث الدوسى:

أحد حكام العرب في الجاهلية [6]، ويقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة فاعتبر من المعمرين، وكان يلقب بذى الحلم [7]. ويذكر ابن حبيب [8] أن عمرو بن حمة كان يتعمم مخافة أن يفتتن النساء بجماله الفائق. ويروى أن أعرابياً سأل عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) عن قول الشاعر:

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

فقال ابن عباس: ذاك عمرو بن حمة الدوسى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فألزموه السابع أو التاسع من أولاده فكان إذا غفل قرع له العصا فينتبه [9].
ويذكر ابن حزم [10]، ان عمرو كان من المهاجرين الأولين الى رسول الله ﷺ.

---

(١) المسعودى: مروج الذهب، جـ٢ ص٦٥، ابن الاثير: الكامل جـ١ ص٣٤١
(٢) الآمدى: المؤتلف والمختلف ص٣٩
(٣) البيان والتبيين، جـ١ ص١٩١
(٤) ابن عبدربه: العقد الفريد، جـ١ ص٣٠٢
(٥) القالي: الأمالى، جـ٢ ص٢٧٦
(٦) اليعقوبي: جـ١ ص٢٥٨
(٧) الزركلى: الاعلام، جـ٥ ص٧٧، ابن حجر: الإصابة، جـ٢ ص٥٣٣
(٨) المحبر: ص ٢٣٢
(٩) المرزبانى: معجم الشعراء، ص ٢٠٩، ابن حجر: الإصابة، جـ١ ص٣٤٩
(١٠) الجمهرة: ص٣٨٣

٤ ـ سواد بن قارب الدوسي :

كان سواد بن قارب من أعلم أهل وقته، وأشهرهم في الكهانة والشعر، ومن أطولهم باعاً في جميع المكارم (١) ، وكان له مقام رفيع في دوس، وقد اشتهر في الإصابة في التعبير، ويروى أنه خرج خمسة نفر من طي يريدون سواد بن قارب ليختبروا علمه، فلما قربوا من السراة، قالوا ليخبأ كل واحد منا خبيئا، ولا يخبر به أصحابه، لنسأل سواد عنه، فإن أصاب عرفنا علمه، وإن أخطأ ارتحلنا عنه. فخبأ كل واحد منهم شيئا، ثم ذهبوا إلى سواد وأهدوا اليه إبلا وطرفا من طرف الحيرة، فاستقبلهم أحسن استقبال ونحر لهم النياق، فلما انتهت أيام الضيافة، سألوه عما خبأوه، فأخبرهم بالأشياء المخبأة، فصدقوه ثم ارتحلوا عنه بعد أن ظهر لهم أن ما قيل لهم عنه لا يساوي شيئا مع سعة علمه وتبصره بالأمور، فقال شاعرهم :

ألا لله علم لا يجارى ... إلى الغايات في جنبى سواد
أتيناه نسائله امتحاناً ... ونحسب أن سيعمد بالعناد
فأبدى عن خفى مخبآت ... فأضحى سرها للناس بادى
حسام لا يليق ولا يثأثى ... عن القصد الميم والسداد (٢)
كأن خبيئنا لما انتجينا ... بعينيه يصرح أو ينادى

ولما بعث رسول الله ﷺ قدم سواد إليه فأسلم وحسن إسلامه. (٣)

٥ ـ حاجز بن عوف بن الحارث الزهراني :

شاعر جاهلي مقل، ويعد من الصعاليك الذين كانوا يغيرون على أقدامهم على العرب، وممن كان يسبق الخيل عدوا (٤) ، ويذكر ابن منظور (٥) ، أن حاجزا كان من أغربة العرب (سودانهم)، ويسجل حاجز في

---

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، جـ٣ ص٢٩٩
(٢) يليق : يمسك، يثأثى : يحبس
(٣) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، جـ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨
(٤) الزركلي : الاعلام، جـ٢ ص ١٥٣ ، يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ص ٢٢٠
(٥) لسان العرب : جـ١ ص٦٤٦

قصـائـده اعتـزازه بقبيلته، وافتخاره برجالها ويذكر أيامهم التي انتصروا فيها، فيقول في إحدى قصائده (١) :

ان تذكـروا يوم الـقـرى فانـه … بواء بأيـام كثـير عديـدهـا
ويـوم كراء قد تدارك ركـضـنـا … بني مالـك والخـيـل صعـر خدودهـا
ويـوم الاراكـات الـلواتـي تأخـرت … سراة بني لهبـان يدعـو شريـدهـا
ونـحـن صبـحـنـا الحـي يوم تنـومـة … بملـمـومـة يهوى الـشجـاع وئيـدهـا
ويـوم شروم قد تركـنـا عصـابـة … لدى جانـب الطـرفـاء حمرا جلودهـا

وكان الشاعر حليفا لبني مخزوم من قريش، وفي ذلك يقول (٢) :

قومـي سلامـان اذا ما كنـت سائـلـة … وفي قريش كريـم الحـلف والحـسـب
اني متـى أدع مخزومـا ترى عنـقـا … لا يرعـشـون لضـرب الـقـوم من كثـب

٦ ـ أبو أزيهر بن أنيس الدوسي :

كان أبـو أزيهـر شريفـا في قومـه دوس، وكان حليفا لأبي سفيان بن حرب، وكـانت والـدة أبي سفيـان دوسية، الأمر الذي أدى إلى وجود رابطة وثيقة بين دوس وقريش، وازدادت هذه العلاقة متانة عندما زوج أبو أزيهر ابنته عاتكه أبا سفيـان، فولـدت له محمدا وعنبسة، وزوج ابنته زينب عتبه بن ربيعه، وزوج ابنته الثالثة الوليد بن المغيرة، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه مع أنه أخذ صداقهـا (٣) ، وذلـك لأنه علم أن الوليد يسيء معاملة نسائه ويضربهن (٤) . فلما حضـرت الـوليد الوفاة أوصى بنيه أن يأخذوا الصداق من أبي أزيهر، فأتوا أبا أزيهر وهو في سوق ذى المجاز وقتلوه، فأدى هذا إلى حدوث قتال بين دوس وقريش (٥) ، ليس هذا البحث مجالاً للخوض فيه.

---

(١) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨

(٢) حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣١٧

(٣) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦، الزبيرى: نسب قريش، ص٣٢٣

(٤) ابن حبيب: المنمق ٢٣٦

(٥) ابن حبيب: المنمق، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، الزبيرى: نسب قريش ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤

ب ـ فــــي الإســلام:

١ ـ أبو هريرة (رضي الله عنه):

وهـو عمـير بن عامر بن عبد ذى الشرى الدوسى الزهراني، صاحب رسول الله (ﷺ) ومن كبـار رواة حديثـه. وقد اختلف أهل النسب في اسمه، فقال بعضهم: اسمـه عمـير بن عامـر بن عبـد ذى الشـرى، وقال آخرون: اسمه عبدالرحمن بن صخـر، وقـال بعض ثالث: اسمـه عبـد نهم بن عامـر ويقـال إنه اجتمع في اسمه واسم أبيـه أربعـة وأربعون قولاً. وروى الترمذي عن عبيد الله بن أبي رافع قال: «قلت لأبي هريـرة لم كنيت بأبي هريـرة؟ قال: كنت أرعى غنم أهـلي، وكـانت لي هرة صغـيرة، فكنت أضعهـا في الليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معى، فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة.».

وقـد أجمـع أهـل الحديث أن أبا هريرة أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له وذلك لأنه كان جريئا على أن يسأل رسول الله (ﷺ) عن أشياء لا يجرؤ غيره على السؤ ال عنهـا، بالإضـافـة إلى أنـه منـذ أن أسلم في الفـترة الـواقعـة بين صلح الحـديبيـة، وغزوة خيبر كان ملازما لرسول الله (عليه الصلاة والسلام) يغزو معه، ويحج برفقته، ويسير بجانبه حيث سار.

ويقـال إن له خمسـة آلافـ وثـلاثمائة حديث. ويكفيه فخراً واعتزازا شهادة سيد الأنام له بالحرص على العلم والحديث(١).

وقـد أرسله رسـول الله (ﷺ) برفقة العلاء بن الحضرمي لدعوة المنذر بن ساوى العبيـدى ـ ملك البحـرين ـ إلى الإسـلام كما استعمله الخليفـة عمـر بن الخطاب (رضي الله عنه) على البحرين ثم عزله. ولما تولى الإمام على بن أبي طالب (كرم الله وجهـه) مهـام الخلافة أراد أن يستعمله فرفض(٢) ولم يزل يسكن المدينة المنورة حتى توفى (رحمه الله) في سنة ٥٧هـ وقيل سنة ٥٨هـ.

(١) ابن حجر ـ المصدر السابق جـ٤ ـ ص ٢٠٠

(٢) ابى عمر القرطبى ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ جـ٤ ـ ص ٢٠٦

٢ ـ معيقيب بن أبي فاطمة الدوسى:

صحابي جليل، من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية [١] ، وكان رضي الله عنه أمينا على خاتم النبي ﷺ [٢] واستعمله أمير المؤمنين أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) على الفيىء [٣]. كما ولى بيت المال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) [٤] . ثم تولى أمانة الخاتم في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان [٥] . ويذكر الزركلى [٦] أن هذا الصحابي من أهل بدر، وشهد خيبر مع الرسول ﷺ . وتوفى رضى الله عنه سنة ٤٠هـ.

٢ ـ جندب بن عمرو بن حممة الدوسى:

صحابي جليل، ومقاتل شجاع، وكان يقول في الجاهلية «إن للخلق خالقا ولكن لا أدرى من هو [٧] » وهذا يدل على أنه كان يميل للحنيفية. ولما علم ببعثة الرسول ﷺ قصد إليه مسلما، وشارك في كثير من الحروب الإسلامية، وكان في معركة اليرموك قائداً لبعض الكراديس [٨] ، ويذكرا به عساكر [٩] أن جندباً خاطب الأزد في تلك المعركة قائلاً:

«يا معشر الأزد إنه لا ينجومن الإثم والقتل والعدوإلا من قاتل، ألا وأن المقتول لشهيد، والخائب من فر».

ثم قاتل رضى الله عنه حتى قتل.

وقد ترك جندب رضى الله عنه ابنته أم أبان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل مشاركته في حروب الشام وقال له: «إن وجدت لها كفؤا فزوجها

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١ ص ٣٤٦، ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٤، ص ١١٦، الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢ ص ٤٩١

(٢) الذهبى: سيرة أعلام النبلاء، جـ٢ ص ٤٩١، ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٩٩

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ ٢ ص ٤٩١

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ٣ ص ٤١٦

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ٣ ص ٤٠٣

(٦) الاعلام، جـ ٨ ص ١٩٤

(٧) ابن حجر: الاصابة، جـ ١ ص ٢٥٠

(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص ٣٩٧، الكراديس جمع كردوس وهو القطعة العظيمة من الخيل

(٩) التاريخ الكبير، جـ ٣ ص ٤١٢

ولو بشراك نعله، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها». فبقيت أم أبان عند عمر تدعوه أباها إلى أن زوجها من عثمان بن عفان رضي الله عنه فولدت له أبناءه عمرو وخالد وأبان(١).

٣ ـ جنادة بن أبي أمية الزهراني:

صحابي جليل، وقائد بحرى محنك، شهد فتح مصر(٢) وكان قائداً لغزو الروم من خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حتى زمن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(٣). دعاه معاوية بن أبي سفيان ليستشيره في إرساله في غزوة بحرية، فقال له جنادة: «إنما أنا سهم من كنانتك فارم بي حيث شئت» وقال في أول غزوة بحرية له: «اللهم إن الطاعة علي وعلى هذا البحر، اللهم إنا نسألك أن تسكنه، وتسيرنا فيه»(٤).

وقد قام جنادة بفتح جزيرة رودس سنة ٥٣هـ(٥)، وفتح جزيرة ارواد سنة ٥٤هـ(٦)، وقام بعدد كبير من الغزوات البحرية، ويذكر ابن حزم أن معاوية أراد استلحاقه أخا كما فعل بزياد، فرفض جنادة ذلك(٧).

٤ ـ الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسى:

شاعر فارس من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، قدم مع أبيه الطفيل بن عمرو وقومه دوس إلى المدينة المنورة في السنة السابعة من الهجرة، وجدد إسلامه على يد رسول الله ﷺ. ومن أشهر قصائده نقتطف هذه الأبيات:

يا دار من ماوى بالسهب بنيت على خطب من الخطب
اذ لا ترى الا مقاتلة وعجانسا يرقلن(٨) بالركب

---

(١) ابن حجر، الإصابة، جـ ١ ص ٢٥١
(٢) السمعاني: الأنساب، جـ ٦ ص ٣٤٩، (ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ص ٥١٣
(٣) القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، جـ١، ص ٢٤٤
(٤) ابن عساكر: التاريخ الكبير، جـ٣ ص ٤٠٩
(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٥ ص ٢٨٨، ابن الأثير: الكامل جـ٣ ص ٤٩٣
(٦) الطبرى، جـ ٥ ص ٣٩٢
(٧) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٦
(٨) عجانس: الجمال الضخمة

ومـدجـجـاً يسـعـى بشـكـتـه محـمـرة عيـنـاه كالـكـلـب

إلى أن يقـول:

جانـيـك من يجني عليـك وقـد تعـدى الـصحـاح[1] مبـارك الجـرب

وقد قال الحارث هذه القصيدة في حرب وقعت بين دوس وبين بني الحارث[2].

٥ ـ كعب بن سور الدوسي:

فقيـه قاضي من التـابعـين، ولي القضـاء في البصـرة في عهد الخليفتين عمر بن الخطـاب وعثـمان بن عفـان رضي الله عنهـما وخـرج في معـركـة الجمـل وفي عنقـه مصحف ليصلح بين الناس فجاءه سهم فقتله[3].

٦ ـ الحارث بن عبدالله بن وهب الدوسي:

صحـابي جليـل من العقـلاء وذوى الـرأي، كان من المقـربين لخالد بن الوليد رضي الله عنـه، وكـان يثق به ويستشـيره في مهـام أمـوره العسكـريـة، وقد شهد الحـارث معـركـة الـيرمـوك وشهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان. وولاه معاوية البصـرة سنـة ٤٥هـ. ويـذكـر ابن حجر[4] أن الحارث كان ضمن السبعين رجلاً الذين قدموا من دوس على الرسول في السنة السابعة من الهجرة.

٧ ـ مسدد بن مسرهد بن مسربل الدوسي:

الإمـام المحـدث الكبـير، كان حجـة حافظـا، وهـو أول من صنف مسنداً في الحـديث النبـوى الشـريف، وكـان من مشايخ أئمة الحديث كالبخاري وأبي داود وغـيرهم، وكـان معـاصرا للإمام أحمد بن حنبل، وعلى صلة وثيقة به[5]. وتوفى سنة ٢٢٨هـ.

---

(١) الصحاح: الصحيح من الأبل

(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ١٣ ص ٢٢٥

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٥٠٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٦ ص ١٤٩
ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص ٣٨٠

(٤) الإصابة، جـ١ ص ٢٨٢

(٥) أبويعلى: طبقات الحنابلة، جـ١ ص ٣٤١-٣٤٢، الذهبي سير أعلام النبلاء، جـ١٠ ص ٥٩١-٥٩٤

٨ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدى :

أبـو عبـدالـرحمن الخليـل بن أحمـد الفـراهيدي ، نسبة إلى فراهيد بن شبابة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده(١) ، وهو رائـد المعجـمات الأول في العـربيـة ، فهو الذى ابتكر التأليف المعجمي(٢) ، وكان غايـة في استخـراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، ومن أشهر تلاميذه الأصمعي وسيبيويه والنضر بن شميل . كما أنه أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة(٣) . وكان شاعراً مقلا ، وزاهداً في الدنيا ومنقطعاً إلى العلم ، وله عدد من المؤلفات منها :

* كتاب العين
* كتاب العروض
* كتاب الشواهد
* كتاب النقط والشكل وغيرها(٤) .

ويذكر الحلبي (٥) أنه لم يكن للعرب بعد الصحابة رضوان الله عليهم أذكى من الخليـل بن أحمـد ولا أجمع ، وهـو مفتـاح العلـوم ومصـرفهـا ، ولقـد كان الأمـراء يقصـدونـه ويتعرضون له لينال منهم ولم يكن يفعل لزهده وعلو نفسه وشدة تعففه . وكان سفيان الثورى يقول : «من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليـــل» (٦) . وتوفى رحمه الله سنة ١٧٠ هـ وعمره أربع وسبعون سنة .

٩ ـ أبو بكر بن دريد :

محمـد بن الحسن بن دريـد ، ولـد بالبصـرة سنة ٢٢٣ هـ وكان أبوه من الرؤ ساء وذوي اليسـار ، وكـان عالمـا باللغـة وأشعار العرب (٧) حتى قيل أنه أعلم الشعراء

---

(١) ابن الانبارى: نزهة الألباء، ص ٤٥
(٢) أحمد عبدالغفور عطار: مقدمة الصحاح، ص ٥٤
(٣) ابن النديم : الفهرست، ص ٤٨-٤٩ ، ابن الانبارى : نزهة الألباء ص ٤٥
(٤) الفهرست ص ٤٨-٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١١ ص ٧٥
(٥) مراتب النحويين، ص ٢٨ - ٢٩
(٦) ياقوت : معجم الأدباء، جـ١١ ص ٧٤
(٧) ابن النديم (الفهرست، ص ٩١)

وأشعـر العلماء (١) وقـد تخرج على يديـه كثـير من العلماء والأدبـاء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو عبدالله المرزباني مؤلف معجم الشعراء وأبو الحسن المسعودي، مؤلف مروج الذهب، وأبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي (٢) وغيرهم.

وقد علا كعب بن دريد في دنيا الشعر بقصيدته المقصورة المشهورة والتي أثارت حوله ضجة صاخبة لما حوته من فن واقتدار وحكم ومثل وتسجيل لحوادث التاريخ وبلغت ٢٥٠ بيتا وترجمت إلى عدة لغات (٣) . ومن أشهر مؤلفاته : كتاب الجمهرة في علم اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب المقتبس وكتاب أدب الكاتب وغيرها (٤) .

١٠ـ علي بن الحسن الهنائي الدوسي :

عالم لغـوي، عرف بكـراع النمـل لقصـره أو لدمامته عاش بمصر، وكان كوفي المـذهب، وأخـذ عن البصريين وله عدد من المؤلفات منها : «المنجد» و«المنتخب» و«المنضـد» و«المجـرد» و«أمثلة غريب اللغة» (٥) . ويذكر ابن النديم (٦) أن كتب هذا العـالم كانت موجـودة بمصـر في القـرن الـرابـع الهجـري ومتداولة بين طلاب العلم. وتوفى سنة ٣١٠هـ.

١١ ـ المعافى بن عمران بن نفيل :

أحـد وجـوه دوس بمـدينة الموصل، وولد بها سنة نيف وعشرين ومائة، ويصفه بعض المؤرخـين بشيـخ الإسـلام، ويـاقـوتة العلماء. كان ثقة خيراً فاضلاً، وكان لكرمه وسخائه لا يأكل وحده . . تنقل في البلاد طلباً للحديث، فجالس العلماء، وجمـع بين العلم والـورع والسخـاء والزهد. وله مصنفات في الزهد والسنن والفقه والأدب وغير ذلك (٧) .

(١) البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٢ ص ١٩٥

(٢) ياقوت: معجم الأدباء، جـ١٨ ص ١٢٨

(٣) انظر الترجمة المفصلة لابن دريد في مقدمة كتابه الاشتقاق

(٤) ابن النديم : الفهرست، ص ٦٧

(٥) ابن النديم : الفهرست ص٩١ـ٩٢، الزركلى : الاعلام : جـ٤ص ٢٧٢ ، كحالة : معجم المؤلفين، جـ٧ص ٧١

(٦) الفهرست: ص ٩٢

(٧) الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٨١ وما بعدها، الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٩ ص ٨٠ـ٨٥

ويـذكـر الذهبي(١) أن المعافى كان في الفرح والحزن واحداً، قتلت له الخوارج ولـدين، فما ظهـر عليـه الجـزع واجتمـع عنـده بعـد مقتلهـما جماعة من أصحابه، فأحسن وفادتهم ثم قال لهم: «آجركم الله في فلان وفـلان» ويضيف الازدى(٢) ان المعافى قال لجماعة قدموا إليه بعد معرفة مقتل ولديه: «إن كنتم جئتم تعزوني، فلا تعزوني، ولكن هنئوني» فهنوه، وما برحـوا من عنده حتى غداهم، وطيبهم بالمسك.

١٢ـ أبو الجـوزاء:

أوس بن عبدالله الربعي الزهراني، محدث جليل، من خيار التابعين، ومن كبار المحدثين، كان عابداً فاضلاً، توفى سنة ٨٣هـ(٣).

١٣ـ مسلم بن إبراهيم الفراهيدي:

ثقـة صدوق، أخـذ الحـديث عن ثمانـمائة شيخ وقيل عن ألف شيخ، وهو أكبر شيخ لأبي داوود ويحيى بن معين(٤). مات سنة ٢٢٢هـ.

١٤ـ سليمان بن داوود الزهراني:

أبو الربيع، مقرىء محدث حافظ، ولد بالبصرة سنة نيف وأربعين ومائة وسكن بغـداد، أخـذ الحـديث عن الإمـام مالـك بن أنس وأخـذه عنـه الإمـامان مسلم وأبو داوود. وله كتاب جامع في القراءات ومصنف في الحديث مرتب على الأبواب الفقهية(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء، جـ ٩ ص ٨٣

(٢) تاريخ الموصل، ص ٨٢

(٣) السمعاني: الأنساب، جـ٦ ص ٧٦ - ٧٧

(٤) السمعاني: الأنساب، جـ١٠ ص ١٦٦

(٥) السمعانى: الأنساب، جـ٦ ص ٣٤٩ - ٣٥٠،
الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٠ ص ٦٧٦-٦٧٧،
الزركلى: الاعلام، جـ٣ ص ١٢٥،
كحالة: معجم المؤلفين، جـ٤ ص ٢٦٢

هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العلماء والمحدثين منهم بشر بن عمر الزهراني وسليمان بن جنادة الدوسي وكثير بن زياد البرساني الزهراني ومحمد بن بكر البرساني الزهراني وغيرهم(١).



الحصون الشامخة في بلاد زهران

٢ ـ تاريخ بلاد زهران حديثاً :

حالة بلاد زهران قبل قيام المملكة العربية السعودية :

في الفترة التي سبقت عهد الأمان والرخاء والاستقرار، عهد آل سعود الكرام كانت بلاد زهران تتبع لمتصرفية عسير ، وذلك أثناء حكم الدولة العثمانية(٢) وبطبيعة الحال كانت تلك التبعية إسمية فقط ، لبعد بلاد زهران عن مركز الدولة العثمانية ولصعوبة الطرق المؤدية إليها

---

(١) انظر بعض كتب التراجم ، وخاصة كتاب الأنساب للسمعاني

(٢) عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٢٨١

بالإضافة إلى عدم اعتراف رجال زهران بتلك التبعية، وفي تلك الفترة طغى الجهل في بلاد زهران، وسيطرت عليها العصبية القبلية، وضعفت العاطفة الدينية، وسادت الحروب القبلية المدمرة، فعاش الأفراد والجماعات، في قلق دائم، وخوف متزايد ترتب عليه انعدام الأمن، وافتقاد الطمأنينة، وانخفاض مستوى المعيشة، مما جعل السكان في جميع القرى يلجأون إلى بناء قراهم في أعالي الجبال، ويقيمون فيها الحصون الحربية التي نشاهدها اليوم منتشرة في جميع أنحاء بلاد زهران سراة وتهامة لحماية أنفسهم من خطر الغارات الفتاكة التي يشنها رجال القبائل الأخرى.

وقد استمرت الحالة كذلك حتى قامت المملكة العربية السعودية، فساد الأمن وعم الرخاء وقضي على البدع والخرافات الدينية.

أعمال زهران الحربية في عهد آل سعود الكرام:

تعرضت جزيرة العرب في بداية القرن الثالث عشر الهجري لحملات الأتراك التي قام بها محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية، يساعده ولداه طوسون وإبراهيم باشا. وكان الهدف من تلك الحملات هو إظهار مصر بمظهر الحامي لمقدسات المسلمين في مكة والمدينة لتكسب الرأي العام الإسلامي إلى جانبها، بالإضافة إلى رغبة محمد علي باشا في القضاء على الجنود الألبان الذين كانوا عامل شغب في مصر، وفتح أسواق جديدة لمصر في الحجاز.

وقد قاومت الدولة السعودية الأولى تلك الحملات، وكبدت الأتراك خسائر فادحة في الرجال والأموال، إلا أنهم زحفوا إلى مكة واستولوا عليها بعد استيلائهم على جدة والمدينة، ثم واصلوا زحفهم - أي الأتراك - إلى الطائف وبلاد زهران وغامد وعسير، فكان نصيبهم الفشل الذريع، وكان يقود جيش زهران في تلك الاثناء بخروش بن علاس الزهراني من قرية العديّة بقبيلة قريش، وقد أظهر في حروبه ضد الأتراك شجاعة نادرة وإخلاصاً صادقاً لآل سعود الكرام، وكان بالتالي حجر عثرة أمام توسع الأتراك في منطقة عسير سراة وتهامة.

وفي سنة ١٢٢٨هـ اشتبكت قبائل زهران وغامد مع جيوش الأتراك في القنفذة فهزم الأتراك شر هزيمة، ثم تجددت هزائمهم في زهران وغامد، فطلبوا النجدة من محمد علي باشا، فأمدهم بقوات كبيرة يقودها ولده طوسون، ومع ذلك فقد توالت هزائمهم وعادوا يجرون ذيول الخيبة والفشل براً إلى الطائف وبحراً إلى جدة، وغنم رجال زهران وغامد ما

كان معهم من المؤونة والذخيرة.

ومن أهم تلك المعارك الحاسمة المعركة الكبرى التي وقعت في وادي قريش ببلاد زهران، حيث هاجم بخروش بن علاس بجيش زهران المتواضع في عدده وعدته جيش الأتراك الذي يقدر بحوالي عشرين ألف مقاتل، فهزمه شر هزيمة، وقدر عدد القتلى من الأتراك بألف رجل(١)، فانسحب الأتراك إلى الطائف خاسرين. وقد أثبت بخروش في تلك المعركة الحاسمة مدى ما يتمتع به من بطولة حقة وحنكة حربية بارعة.

التقى بعد ذلك جيش آل سعود بقيادة الإمام عبدالله بن سعود بجيش الأتراك بقيادة محمد علي باشا في معركة «بسل» بالقرب من الطائف، وكانت نتيجة تلك المعركة في صالح الأتراك لتفوقهم على الجيش السعودي في العدد والعدة. وقد شدد الأتراك الضغط على جناحي الجيش السعودي اللذين تكونا من غامد وزهران. واعتقد أن ضغط الأتراك المباشر على زهران وغامد، يرجع سببه إلى حنق محمد علي باشا وعزمه على الانتقام من رجال زهران وغامد الذين أذاقوا جيوشه مراراً عديدة طعم الهزيمة المرة ومزقوهم شر ممزق.

وبعد معركة «بسل» استولى محمد علي باشا على تربة وبيشة وما جاورهما ثم زحف إلى عسير، فقبض على طامي بن شعيب وبخروش بن علاس. ويحكي لنا أحمد علي (٢) نقلا عن كتاب «حكام مكة» للكولونيل ديجوري وصفا لنهاية حياة القائد الزهراني بخروش بن علاس على يد محمد علي باشا فيقول:

«كان بخروش عبوساً ساكناً، وفي ليلة من الليالي وجد بخروش حراسه نياما فحل وثاقه وهرب، وعندما درى الحراس بهروبه تعقبوه ولما اقتربوا منه قتل بعضهم وجرح كثيرين منهم، وأخيراً وقع في أسرهم، وجيء به إلى محمد علي باشا، وسأله لماذا هربت وقتلت الجنود؟ فقال له: ما دمت حراً مطلقاً أعمل كما أشاء. فرد عليه الباشا: سأعاملك بنفس المعاملة. وأمر برد الأغلال عليه، وإيقافه وسط الجنود ثم أمر الجنود المحيطين به أن يطعنه كل واحد منهم طعنة غير قاتلة برأس خنجره إطالة في تعذيبه. وتلقى الزعيم تلك الطعنات بصمت وشجاعة ولم ينبس بكلمة تشعر بأنه نادم على ما وقع منه، أو يستعطف الباشا وأخيراً قطع أحد الجنود رأسه، وأرسله إلى استانبول مع طامي بن شعيب الذي أعدم هناك» (٣).

---

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية جـ١ ـ ص ١٤٧

(٢) آل سعود ـ ص ٦٤ و ٦٥

(٣) يقول أحد أحفاد بخروش إن جثته دفنت في وادي الأحسبة بتهامة زهران

ولم تقف سخـريـة الأتـراك عند هذا الحد، بل تعدت إلى أنهم عند وصولهم إلى مصر في طريقهم إلى استـانبـول، علقـوا رأس بخروش بين كتفي زميله طامي، وطافوا به في شوارع القـاهـرة، وهكـذا انتهت حيـاة ذلك البطل ولكن ذكره ما زال ملء الأسماع وخاصة في بلاد زهران مسقط رأسه ومجال شجاعته.

وبعد عودة محمد علي إلى مصر، هاجم رجال زهران وغامد وألمع جنوده المقيمين في تهامة والسراة، ودحروهم عدة دحرات، فانهزموا خاسرين إلى الطائف وجدة (١).

وفي الثـلاثينـات من القـرن الهجري الحالي، استبدت أسرة آل عايض بشؤون الحكم في بلاد عسـير، وكـان الأمـير حسن بن عائض مستبـداً ظالمـاً، فنفـرت منه القبائل ـ خصوصاً قحطـان وزهـران (٢) ـ وأرسلت وفـودهـا إلى مدينـة الـرياض، وشكوا إلى المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (غفر الله له) ما يعانيه الأهالي في عسير من ظلم واستبداد آل عائض. فأرسـل الملك عبـدالعـزيز إلى حسن بن عائض ستة من علماء نجد ينصحونه، ويـدعـونـه إلى التـزام جادة الحق والصـواب. ولكنـه كابر ولم يستمع لنصحهم، واستمر في سياسة الظلم والعدوان.

فبعث إليـه الملك عبـدالعـزيز جيشاً يقوده الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي فتمكن من القبض على حسن بن عائض وابن عمـه محمـد، وأرسلهـما بالتالي إلى الملك عبدالعزيز بالـريـاض، فأكـرمهـما أحسن إكـرام واتفق معهـما على أن يعـودا إلى عسـير ويلتزما الهدوء والسمـع والطـاعـة. فعـادا إلى بلادهما راضيـين مغتبطين. ولكن حسن بن عائض عاد من جديد إلى إثارة الشغب والفوضى، فجهز الملك عبدالعزيز رحمه الله حملة كبيرة ووجهها إلى عسـير بقيـادة ابنـه الأمـير فيصل بن عبدالعزيز. وعند وصول الحملة إلى بلاد زهران انضم إليهما أربعة آلاف مقاتل من زهران (٣) واستمرت الحملة في زحفها إلى عسير، حيث تمكن الأمـير فيصـل من القضـاء على آل عائض نهائياً، وأراح الناس من ظلمهم وتعسفهم، وفي وقتنـا الحـاضـر تنعم بلاد زهران بفضل الله ثم بفضل الحكم الرشيد والقيادة الحكيمة في ظل صاحب الجـلالـة الملك فهد بن عبدالعزيز بالرخاء والأمن والاستقرار. وهاهم شباب زهران يعملون في جميـع أجهـزة مملكتنا الفتية، وفي مقدمتها الأجهزة العسكرية، يدفعهم إلى ذلك إيمان بالواجب، وتقدير للمسؤولية وإخلاص كبير في خدمة الدين والوطن والمليك.

---

(١) أمين الريحاني: نجد وملحقاته وسيرة الملك عبدالعزيز ـ ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ـ ص ٣٠٠

(٣) المصدر السابق ـ ص ٣٠٢



النـاحية الإدارية

تتبـع بلاد زهـران إدارياً لمنطقة الباحة، ومنطقة الباحة منطقة إدارية تضم قبيلتي غامد وزهـران، وكـانت هذه المنطقـة قبـل عام ١٣٥٣هـ تابعة لإمارتي الطائف وبيشة ثم فصلت عنها، وأصبحت إمارة قائمة بذاتها، واتخذت من مدينة الباحة الواقعة في قلب المنطقة قاعدة ادارية لبـلاد غامـد وزهران، وللإمارة فروع في مختلف أنحاء بلاد زهران سراة وتهامة موزعة على النحو التالي:

ا ـ في السـراة:

١ ـ إمارة المندق
٢ ـ إمارة القرى
٣ ـ إمارة بيدة
٤ ـ إمارة دوس
٥ ـ إمارة برحرح
٦ ـ إمارة بيضان
٧ ـ إمارة بني حسن
٨ ـ إمارة بني عدوان

ب ـ في تهامـة:

١ ـ إمارة قلـوة
٢ ـ إمارة الحجـرة
٣ ـ إمارة نـاوان
٤ ـ المخـواه
٥ ـ إمارة نـيرا

هذا بالإضـافـة إلى عدد من المحاكم الشرعية ومراكز الشرطة والأحوال المدنية ومكاتب التعليم ، وهيئـات الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، ويوجد بزهران مكتب زراعي وبلدية وإدارة للأوقـاف وثـلاث وحـدات للدفـاع المدني وثلاثة مكاتب للضمان الاجتماعي وعدد من إدارات البريد واللاسلكي ، وفرق للطرق ، فضلاً عن المستوصفات والمكاتب الصحية .

الحياة الاجتماعية

سنلقي في هذا الفصل شيئاً من الضوء على النواحي الاجتماعية التالية، لنتعرف من خلالها على سير الحياة الاجتماعية في بلاد زهران:

١ ـ المجتمع في بلاد زهران.
٢ ـ الأسرة.
٣ ـ الزواج.
٤ ـ أهم العادات.

١ ـ المجتمع في بلاد زهران:

مجتمع بلاد زهران مجتمع قبلي بسيط، محافظ على عاداته وتقاليده العربية الأصيلة، والقبيلة هي الوحدة التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في هذه البلاد، وهي عبارة عن أسرة كبيرة، يعتقد أفرادها أنهم يتحدرون جميعا من أب واحد وأم واحدة، ولذلك فالقبيلة عادة تسمى باسم الأب الأكبر لها.

وبما أن القبيلة في حاجة ماسة إلى رئيس يشرف على أمورها، وينظم أحوالها، فقد استوجب الأمر اختيار رئيس لها من أبنائها، يسمى بلهجة زهران «شيخ القبيلة». ويتم اختياره إذا تأكد رجال القبيلة من سمو أخلاقه، وحصافة رأيه، بغض النظر عن ثروته وكبر سنه... وشيخ القبيلة هو المسؤول الأول فيها، والناطق باسمها، والمطالب بحقوقها لدى الجهات المختصة. ولا يجوز لافراد قبيلته البت في أي موضوع يتعلق بالقبيلة إلا بعد عرضه عليه وأخذ موافقته.

ولكي توزع المسؤولية، وتنظم أعمال القبيلة تنظيما لائقا يعود على أفرادها بالخير والفائدة، فقد أختير لكل قرية نائب من قبل شيخ القبيلة يطلق عليه اسم: «عريف القرية» وعن طريق هذا النائب يتم الاتصال بشيخ القبيلة لنقل رغبات ومطالب أهل القرية اليه ليعمل بدوره على تحقيق ما يمكن تحقيقه منها.

وإلى وقت قريب جداً كان لكل قبيلة من قبائل زهران شاعرها الذي يشيد بمفاخرها

وأمجـادهـا، ويهجـو أعـداءهـا ويندد بهم، ثم أخذت هذه الظاهرة في التلاشي تدريجياً حتى انعدمت تماماً في الوقت الحاضر.

وقـد تحدرت قبـائـل زهـران كما ذكـرنا سابقا من أبناء زهران بن كعب بن الحارث الستة وهم: عبدالله ونصر والنمر ومالك وعبرة وصقل ومن نسلهم تكونت قبائل زهران وكان يطلق على بني عبرة وصقل بنو خنيس(١) نسبة إلى رجل تولى حضانتهم، وقام بالاشراف على أمورهم.

ومما يجدر ذكره أن هناك اختلافاً كبيراً بين قبائل زهران في الماضي والحاضر، وذلك من حيث التوزيع الجغرافي والأسماء، فقبائل زهران حالياً تقطن في أواسط جبال الحجاز وتهامة، بينما انتشرت في الماضي في الحجاز وتهامة وعمان والبصرة والأندلس ومن أهم بطون زهران في الجـاهليـة والإسـلام: دعثـة وسليمـة، وبنـو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة(٢) ومعن وهناءة والجنابذ وشبابة والنمر بن عثمان واليحمد وبنو الحدان وبنو معولة وبنو عامر وبنو هلال وبنو عبدالله وبنو الخصاصة، وبنو فاحش وبنو ربعة وبنو برسان والأوس بن شمس ومخضب بن شمس وبنو سلامان. ومنهم كان الشاعر الشنفري الفاتك ثابت بن أوس العداء المشهور في الجاهلية (٣) وكان يغير عليهم لأن رجلاً منهم قتل أباه، ولم يساعدوه على أخذ ثأره فلحق بأخـوالـه، وأقسم ليقتلن من بني سلامـان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين ثم أمسكوا به وقتلوه، فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله تشفيا منه فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات فتمت المائة وقد قال عند لحاقه بأخواله:

جزينـا سلامـان بن مفـرج قرضـهـا ... بما قدمـت أيـديهـم وأزلـت
وهـنـيء بي قوم ومـا أن هنأتهـم ... وأصـبـحـت في قوم ولـيـسـوا بمـنـبـتي

وقد تبوأ الشنفرى مكانة مرموقة في الشعر، وله (لامية العرب) التي وجد فيها المؤرخون والأدبـاء صورة حقـة للحيـاة العربية الأصيلة التي يرى فيها العربي يطوي الصحراء متشحا عباءته ضامر البطن يبحث عن العزة والكرامة.

وفيما يلي نستعرض أسماء قبائل زهران ومشائخها في الوقت الحاضر وأهم قراها في السراة وتهامة:

(١) ابن حزم الاندلسى ـ نفس المرجع ـ ص ٣٧٩
(٢) سكن بنو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة تدمير بالأندلس
(٣) ابن حزم الاندلسى ـ نفس المرجع ـ ص ٣٨٦



قرية المهدي في دوس ببلاد زهران



أ ـ قبائل زهران في السراه

عــدد	اسم القبيلة	أهم القــرى
١ ـ	دوس بني فهم	آل نعمـة ـ بنـوفهم ـ سيحـان بنـوزيـد ـ حظوه ـ الجبـور ـ عسيلة ـ الكـاحـدين ـ الكاحلة ـ الهرة ـ العراق ـ قزعة ـ غياض الصماء .
٢ ـ	دوس بني علي	رمس ـ الحبشة ـ الريحان . ولهذه القبيلة قرى في تهامة هي : الجـرداء ـ القـزعـة ـ الفرعة ـ قرية سوق السبت ـ السند ـ الكف ـ السعبرة ـ المربى ـ الحنكة ـ سند الميلح ـ الجناب .
٣ ـ	دوس بنى منهب (آل عياش)	غدى ـ الحصنين ـ قرعة ـ الزرقان ـ قرية أبي شوك ـ العقب ـ الكلبات ـ معبود .
٤ ـ	دوس بني منهب وبالطفيــل	عمضان ـ بدادا ـ الوكف ـ القرن ـ قريدة القامة ـ عويرة ـ بعرة ـ الهدى ـ الغرير ـ سلامان ـ الكورس ـ الردمة . أما قراها في تهامة فهي : فضالة العليا ـ فضالة السفلى ـ عياس آل حمامة .
٥ ـ	بنو كنانــة	مســير ـ المنــدق ـ العنق ـ النصبــاء ـ الحــلاه ـ بلحكم ـ دار المسيد ـ مشنية ـ القرنطة ـ الحبارى ـ آل مزاح . قرى وادي ثمران بتهامــة .
٦ ـ	بيضــان	قرى البارك ـ الدارين ـ بنو هريرة ـ قراء ـ الحلاه ـ المصاعبة ـ الحناديد ـ المصاقير . وفي تهامة : الصور ـ الصقران ـ العرباء ـ الوسطة ـ العرضى ـ قرى حصن الحبس ـ العين ـ قرى الأصدار.

تابع أ ـ قبائل زهران في السراه :

عدد	اسم القبيلة	اهم القرى
٧ـ	قريش	الأطاولة ـ بنو محمد ـ القهاد ـ العدية ـ الحسن ـ القسمة ـ منضحة ـ التويهات ـ منحل ـ الثراوين ـ القعصة ـ الهدوان ـ آل دكان ـ الرهوتين .
٨ـ	بنوجندب	الحكمان ـ آل طاهر ـ المكاتيم ـ العقلة ـ آل سرور ـ المظلمات ـ آل صقاعة
٩ـ	بنوبشير	الاشتاء ـ الوهدة ـ القامرة ـ آل سلمان ـ الجدلان ـ العقاربة ـ أهل الرأس ـ الحضيرى ـ آل دغمان ـ أهل الزربة .
١٠ـ	بنوعدوان وبنوحرير	سبيحة العليا ـ سبيحة السفلى ـ الكرادسة ـ الضحوات ـ الكلبة ـ الجريرة ـ الشعبة ـ المثيلة ـ الحبشة ـ الدعبة ـ المشارق ـ الريعة ـ محوية ـ آل سعيدان ـ الصعدان ـ القعرة ـ آل حميدان .
١١ـ	بلخزمر (بنو الخزمر)	القبل ـ الصفح ـ المحاميد ـ الرخيلة ـ الفضيلة ـ مولغ ـ السرفة ـ عنازة ـ الجماجم ـ رسبا ـ حديد ـ أريمة ـ الطرف ـ الكعامير .
١٢ـ	بنوعامر	بنو سار ـ الرومى ـ المصرخ ـ حميم ـ بروقة ـ الربيان .
١٣ـ	بنوحسن	الصغرة ـ قرن ظبى ـ خيرة ـ الجوفاء ـ رباع ـ العصداء ـ العفوص ـ نعاش ـ المشايعة ـ وادي الصدر ـ مراوة ـ شبرقة ـ القحف ـ آل موسى ـ القرن ـ مليكة ـ الأثمة .

دوس بنو فهم

بنو عدوان

دوس بنو علي

بنو حرير

دوس بنو منهب
(آل عياش)

دوس بنو منهب وبالطفيل

قريش

بنو جندب

بنو بشير

بنو كنانة

بلخزمر

بنو حسن

بنو عامر

بيضان

توزيع قبائل زهران في مرتفعات السّراة

(مقياس الرسم ١ : ٢٥٠،٠٠٠)

أهم قرى زهران في السّراة

(مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠)

ب ـ قبائل زهران في تهامه

عدد	اسم القبيلة	أهم القرى
١ ـ	قبيلة بني سليم الشغبان	آل مقبل ـ آل يسلم ـ آل سهلة ـ بنو عطا ـ المضحاه.
٢ ـ	قبيلة بني سليم أولاد سعدى	قرى وادي غليلة ـ قرى وادي الحبيبة قرى وادي رما ـ قرى آل بعاج ـ قرى وادي الزرعة ـ قرى وادي الخرايت ـ قرى العصمة ـ ذنايب ـ قرى وادي لقط.
٣ ـ	قبيلة بني سليم بالمفضل (بني المفضل)	قرى وادي ريم ـ قرى وادي الشعراء قرى وادي سمعة ـ قرى وادي بير الغميقة.
٤ ـ	قبيلة بني سليم الجبر	النجيل ـ وادي دو ـ الخليف ـ المضحاة آل سويدي ـ آل بالريان.
٥ ـ	قبائل الأحلاف (ثلاثة مشايخ)	الغبشة ـ المضحاة ـ الطولة ـ وادي يحر النوزة ـ بالأسود ـ آل ظهيرة ـ آل فلاح ـ بنو زرعة ـ قلوه ـ حبس بن زينة ـ الحوية ـ بنو زهير ـ آل سلطانة ـ البدلة ـ كيدى ـ العجرة ـ المرصاد ـ الرهفة ـ الذويب ـ الفرع ـ جبل أحمار ـ جبل الرهوة.
٦ ـ	قبيلة بني عمر الأشاعيب	الجوه ـ العياش ـ ذو عين ـ بنو عاصم قرى وادي ممنى ـ قرى وادى منجل ـ قرى وادي سقامة ـ قرى وادي راش ـ قرى وادي بني دحيم ـ قرى وادي الجنش وحواز.
٧ ـ	قبيلة بني عمر العلى	المخواة ـ المشايعة ـ العياش ـ منيان ـ القزة ـ قرى وادي الأحسبة.
٨ ـ	قبيلة ناوان	قرى وادي ناوان.
٩ ـ	قبيلة المشايخ	مشرف ـ الفرع ـ آل ثواب ـ الوحشة ـ الفرع ـ النقار ـ الصقعة.

٢ ـ الأســرة:

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، والنظام الأسرى في بلاد زهران أوسع بكثير منه في غيرهـا، فالأسـرة عادة تتكـون من الأب والأم والأبناء ذكوراً وإناثاً، وإذا تزوج أحد أبناء الأسرة فإنه ينفصل عنها ليكون بدوره أسرة جديدة وهكذا بالنسبة لبقية الأبناء.

أمـا في بلاد زهـران فلا يحصـل شيء من هذا القبيل، بل يبقى الإبن بعد زواجه ضمن أسـرتـه، ولا ينفصـل عنهـا إلا نادراً جداً، وفي ظروف قاسيـة يقتنـع بها الاب فيسمح لإبنه بالانفصـال. وينتـج عن هذا ـ بالطبـع ـ اتساع نطاق الاسرة وتزايد أفرادها بصفة مستمرة، وقد يصل عدد أفراد بعض الأسر في بلاد زهران إلى أكثر من ثلاثين شخصاً.

ومن الجـديـر بالـذكر أن هذه العادة متأصلة في نفوس السكان، يحرصون على بقائها، ويعتـبر ون كل من يخالفهـا شاذاً ومـارقاً عن عادات وتقاليد مجتمعه. واعتقد جازماً أن سبب تمسك السكان بهذه العادة يرجع إلى ما يأتي:

١ ـ طبيعـة المجتمـع الـزراعي الـذي يعيش فيه سكان بلاد زهران، والذي يستدعي تضافر جهـود جميـع أفـراد الأسرة وخاصة الشباب لتتمكن الأسرة من توفير ما يحتاج إليه أفرادها من الغذاء والكساء، وما يجرى مجراهما من ضروريات الحياة المعيشية.

٢ ـ انخفاض المستوى المادي في بلاد زهران، وقلة دخل الأسر مما يحتم على أفرادها التمسك والحرص الشديد على بقاء هذه العادة، لاعتقادهم أن الأسرة إذا تجزأت إلى مجموعة أسر، فإن كل أسرة منها تحتاج إلى دخل خاص يمكنها من مواجهة الحياة. وتوفير دخل خاص لكل فرد ينفصل عن أسرته كان في منتهى الصعوبة في الأعوام الماضية لإنخفاض مستوى المعيشة وسيتم التخلص من هذه العـادة في وقت قريب إن شاء الله لانتشـار التعليم وارتفـاع مستوى المعيشـة في زهـران، بفضـل الله ثم بفضـل عنـايـة واهتـمام حكومتنا الرشيدة، وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك فهد حفظه الله وأطال أيامه.

وتقوم المرأة بدور كبير في مجتمع بلاد زهران، فبالإضافة إلى قيامها بجميع أعمال المنزل فهي تعمـل جنبـاً إلى جنب مع زوجهـا في أعـمال الـزراعـة كالحراثة والرى والحصاد ودرس الحبوب في البيادر. وباختصار فالمرأة دعامة من دعامات هذا المجتمع لا يقوم بدونها.

٣ ـ الـزواج :

الزواج هو الصلة التي تربط بين الرجل والمرأة بشكل يرضى عنه الله ثم المجتمع وهو أمر لا بد منـه للحفـاظ على بقـاء الجنس البشري على ظهر البسيطة . وقد حرصت المجتمعات البشـريـة الـزراعية على الزواج المبكر لتزيد في عدد أفرادها ضماناً لنجاح العملية الزراعية . بالإضافة إلى كونه يحفظ أبناءها من الإنحراف . وهذا ما يجري بالضبط في بلاد زهران التي تسـود فيهـا حرفـة الزراعة ، فبمجرد أن يبلغ الإبن سن الخامسة عشرة يبادر والده إلى تزويجه دون أن يهتم برغبة ابنه في الزواج من عدمها ، فيبقى الإبن وزوجته وأبناؤ ه عالة على والده .

ولكي يكون الحديث عن الزواج كاملاً ، يجب علينا أن نناقش ظواهره الثلاث التالية :

ا ـ الخطبة أو المصاهرة كما يطلق عليها سكان بلاد زهران .

ب ـ المهـور .

جـ ـ ولائـم الزفـاف .

ا ـ الخطبـة :

إذا بلغ الشاب سن الخامسة عشرة تبدأ أسرته تفكر بجدية تامة في اختيار زوجة صالحة له ، ويفضـل مجتمـع بلاد زهـران أن تكـون الزوجة من الأقارب وخصوصاً من بنات الأعمام والأخوال ، فإذا تعسر ذلك ، نظر والد الشاب إلى بقية الأسر في قبيلته حتى إذا وقع اختياره على فتـاة معينـة ، ذهب إلى ولي أمـرهـا مصطحبـا معـه بعض رجال قبيلته ، ثم يطلب منه حسبه ونسبه ، فإذا تمت الموافقة تحدد المهر وموعد الزفاف .

ومن الغـريب هنـا أن كثـيراً من الشباب في بلاد زهران يخطبون ويتم زواجهم ، وهم لا يعرفون زوجاتهم إلا في ليلة الزفاف بعد أن تدخل منزله . هذا إذا كانت الزوجة من أسرة لا تمت إلى الزوج برابطة من القرابة ، أما إذا كانت الزوجة من أسرة قريبة ، فإنها تحتجب نهائياً عن نظـر خطيبهـا بمجـرد أن تعلم بخطـوبتهـا له وهـذا يرجـع بالطبع إلى عادات المجتمع وتقاليده ، ومجتمع بلاد زهران ـ كما أسلفنا ـ مجتمع محافظ يتمسك بعاداته وتقاليده الأصيلة ، وخاصة ما يتعلق منها بالعرض .

ب ـ المهـور :

لم يكن المهر في بلاد زهران قبل خمسة عشر عاماً يتجاوز ألف وخمسمائة ريال لإنخفاض مستـوى المعيشـة آنـذاك . أمـا الآن وبعد أن تطورت الحياة ، وتحسنت أحوال الناس المادية ،

فقد ارتفع المهر كثيراً، وأصبح لا ينقص عن عشرين ألف ريال، وقد يصل في بعض الأحيان إلى أكثر من خمسين ألف ريال، فقل إقبال الشباب على الزواج نتيجة لذلك، وخصوصاً الشباب من ذوي الدخل الثابت المحدود وبالتالي أخذت المادة تتحكم في بعض الآباء مما يجعلهم يزوجون بناتهم لمن يدفع لهم أكبر مبلغ من المال.

وقد أدرك عقلاء القبائل خطورة هذه المشكلة الاجتماعية واستفحالها، فاتفقوا على تحديد مهر ثابت للزواج يجازى من يدفع زيادة عليه، ومن يطلب أكثر منه عن طريق مقاطعته مقاطعة دائمة تتمثل في عدم دخول بيته، وعدم السماح له بدخول بيوت رجال قريته، وعدم تزويجه والزواج منه، وعدم مشاركته في أفراحه وأتراحه. ولكي يتأكدوا ـ أي رجال القرية ـ من التزام الزوج ووالد الزوجة بذلك الاتفاق، فقد تقرر عليهما أداء اليمين ليلة الزفاف.

وقد استمر هذا الحل الحاسم سنوات قلائل، ثم أخذ في التلاشي تدريجياً حتى انتهى في معظم القبائل نهائياً.

وجاء المرسوم الملكي الكريم المتضمن تحديد المهور، والضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه مخالفة نصه، فكان له أثر إيجابي كبير في بلاد زهران.

جـ ـ ولائم الزفاف:

تبدأ أسرة المتزوج في الاستعداد لليلة الزفاف قبل أسبوع من موعدها، وتأخذ في تجهيز مستلزماتها من ذبائح ودقيق وأرز وبن وهيل وشاي وملابس وما يجرى مجراها. وفي يوم الزفاف يتجمع رجال القرية وشبابها لمساعدة الأسرة في إعداد الولائم. وبعد صلاة الظهر مباشرة تصل العروس وذووها إلى بيت العريس، فتبدأ حينذاك حفلة الزفاف وتستمر يومين كاملين تظهر فيهما أسرة الزوج أقصى ما تستطيع من دلائل النبل والكرم، ويحيى الشباب ليلتي الزفاف بتقديم الرقصات الشعبية «العرضة» وينظم الشعراء القصائد العديدة في مدح أسرتي الزوج والزوجة، والإشادة بما تبذله الحكومة السنية من مجهودات لتطوير منطقتهم وفي صباح اليوم الثاني يقدم والد الزوج الكساوي لأسرة الزوجة، فيعطي كل رجل مشلحاً صوفياً ثميناً، ويعطي كل امرأة مصنفاً صنع من القماش الثمين. وتتكون ولائم الزفاف عادة من اللحم والخبز والمرق والأرز. ويبلغ الخبز من الضخامة حداً كبيراً لدرجة أن الرجل القوي لا يستطيع حمل أحدها بمفرده.

ويقدم سكان القرية لأسرة الزوج مساعدات كثيرة في الزفاف منها إعداد الخبز وخدمة الضيوف أثناء إقامتهم، بالإضافة إلى تقديم وجبة كاملة لهم أي للضيوف ـ وغالباً ما تكون وجبة الغداء في اليوم الثاني.

وبالرغم من أن هذه الولائم تكلف مبالغ طائلة قد تتساوى أحياناً مع المهر إلا أن الأهالي يحرصون على إقامتها أشد الحرص، ويتنافسون في إظهارها بالمظهر المشرف لهم بغض النظر عن مراعاة حالتهم المادية. وكثيراً ما يستدين صاحب الزواج في سبيل إقامة تلك الولائم، مما يحتم عليه البقاء مدة طويلة بعد زفافه يسدد ذلك الدين الذي أثقل به كاهله حباً في الظهور أمام الناس بمظهر البذخ والرفاه والوجاهة الزائفة التي يدفع ثمنها هماً في الليل، وذلاً في النهار.

٤ ـ أهم العادات في بلاد زهران:

مجتمع بلاد زهران كبقية المجتمعات البشرية الأخرى، له عاداته التي اكتسبها مع مرور الأيام بالتعلم والتكرار، فأصبح يؤديها بطريقة آلية لا تحتاج إلى مجهود شاق في التفكير. وهي بطبيعة الحال عادات انبثقت من واقع البيئة التي يعيش فيها، وانسجمت مع نظمها وتقاليدها الاجتماعية والسلوكية وسنتعرض هنا لأهم العادات السائدة في المنطقة.

١ ـ الشجاعة:

وهي الجود بالنفس أقصى غاية الجود، وبذلها رخيصة في سبيل المجد والكرامة والدفاع عن النفس والوطن. والشجاعة صفة خلقية، وعادة سامية. تأصلت في نفوس العرب جميعاً بما فيهم قبائل زهران. وإذا أردنا أن نستشهد على شجاعة قبائل زهران، فيجب علينا الرجوع إلى كتب التاريخ الإسلامي، وكتب تاريخ المملكة العربية السعودية، لنرى كيف أثبت رجال زهران شجاعتهم في مواقف لا حصر لها، وخصوصاً في بداية القرن الثالث عشر الهجري، حين أنزلت جيوش زهران القليلة العدد والعدة الهزائم الساحقة بجيوش الأتراك وخاصة في موقعة حصن بخروش بوادي قريش، حيث أنزل بخروش الهزيمة بجيوش الأتراك التي بلغت عشرين ألف مقاتل بجيشه الصغير الذي لا يقاس بتلك الجيوش الجرارة. كما أن عمل معظم شباب زهران ـ في وقتنا الحاضر ـ في أجهزة المملكة العربية السعودية العسكرية وخاصة القوات المسلحة لأكبر دليل على تأصل الشجاعة في نفوسهم.

٢ ـ الكـــرم:

ليس الكرم غريبا على العرب، فكتب الأدب العربي مليئة بقصص الكرم والكرماء، وقـد تصـل بعض تلك القصص إلى مرتبـة الخيـال، ومع ذلك فهي صحيحة ولا يمكن أن يتطرق إليها الشك بأي حال من الأحوال.

ويتجلى كرم رجـال زهـران في منـاسبـات عديـدة أهمهـا وفـادة الضيوف حيث يستقبل الرجل ضيفه بالترحيب والتسهيل والابتسامات العذبة ـ الدالة على مدى ابتهاجه بمقدمه، والتي تبعث الاطمئنان والراحة النفسية في نفس الضيف فيشعر أنه بين أهله وذويه ـ ثم يقدم له كل ما وسعه تقديمه من مظاهر الحفاوة والإكرام.

والضيـــوف في بلاد زهـران على مراتب، ولكـل منهم مقـداره، فبعضهم يقـدم له من موجـودات المنـزل من لحم وسمن وعسـل ولبن وفـاكهة، والبعض الآخر تجهز له وليمة كبيرة قوامها خروف أو خروفان أو أكثر.

وقـد يستـدين الـرجـل لكي يؤدي واجبـات الضيـافـة على الوجه الأكمل. ومن هذه الواجبات دعوة رجال القرية لمشاركة الضيف في تناول الطعام وللترفيه عنه في آن واحد. كما أن في دعـوتهم إظهـار لمنـزلـة الضيف في نفس المضيف. ومع أن هذه الدعوة تكلف صاحب المنـزل كثيراً، إلا أنـه لا يمكن أن يهملهـا وإلا أتهم بالبخل، والبخل أقبح صفة يمكن أن يوصف بها الرجل في بلاد زهران.

وفي بعض الأحيـان يفـد الضيـوف على رجـال القـريـة بكـاملهم، فتقدم لهم الولائم بالترتيب، كل وجبة في بيت من بيوتها، وهكذا حتى يغادر الضيوف القرية.

٣ ـ الأزياء والملابـــس:

وهي نفس الأزياء والملابس العربية المعروفة في جميع مناطق المملكة العربية السعودية، فالـرجـل يرتدي في فصل الصيف الثوب الأبيض والغترة والعقال، ويرتدي في فصل الشتاء الثوب الصوفي والشماغ الأحمر والعقال والكوت أو العباءة الصوفية.

أما المرأة فترتدي الثوب العربي الفضفاض والخمار الأسود، وتلتحف بقطعة قماش زيادة في الاحتشـام. وعنـد خروجهـا من بيتهـا ترتـدي عباءة صوفية الأكمام. هذا بالنسبة للقرى الصغيرة. أما القرى الكبيرة فترتدي العباءة العربية السوداء.

٤ ـ وجبات الطعام:

تتكون وجبات الطعام ـ عادة ـ في بلاد زهران من البر والسمن والعسل واللبن والبيض والأرز والخضروات والفاكهة، بالإضافة إلى القهوة العربية والشاي ومشروب ثالث يسمى «القشر» ولا شك أن في هذه الأنواع من الطعام تتوفر معظم الفيتامينات الغذائية إن لم تكن جميعها، ومنها تصنع أكلات شعبية لذيذة مغذية منها:

ا ـ الفتة:

وتصنع من فتات خبز البر والسمن والعسل أو السكر، ويتناولها الأهالي في أيام الشتاء الباردة. وتشبه إلى حد كبير الأكلة الشعبية المعروفة في مدن المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية باسم «المعصوب»، كما تشبه أكلة الحنينى المعروفة في نجد.

ب ـ الملبنه:

وهي عريكة تصنع من الدقيق المعجون باللبن، وتسقى بالسمن البرى، وتتناول في الغالب في وجبة الإفطار.

أما الولائم الكبيرة التي تقدم في المناسبات، فتتكون غالباً من الخبز والحساء «المرق» واللحوم، أومن أرز السليق. ويبلغ الخبز من الضخامة قدراً كبيراً إذ تصنع الواحدة منه من اثنى عشر مداً أو أكثر من دقيق البر. وتقدم الولائم المكونة من الخبز والحساء واللحوم على فترتين متتاليتين كالتالي:

* الفترة الأولى:

وفيها تفرش الموائد «السفر» ويحضر الخبز، ثم يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأشكال، (وتصف) الواحدة منها بجانب الأخرى في أطراف المائدة، ثم توضع أواني الحساء في الوسط. وبعد الترحيب والتسهيل يتقدم الضيوف لتناول الطعام.

* الفترة الثانية:

وتبدأ عند انتهاء الضيوف من تناول الخبز والحساء، حيث ترفع الموائد السابقة، وتفرش موائد غيرها، ثم يحضر الداعي الذبائح كاملة، كل ذبيحة في صحن خاص بها. وبعد تقطيعها إلى قطع صغيرة توزع في الصحون، ويقدم كل صحن إلى مجموعة من الضيوف لا تجاوز العشرة، بينما يوزع الفائض على الفقراء والجيران.

أما الأرز فيقدم على الطريقة المتعارف عليها في بقية مناطق المملكة.

٥ ـ المشاعـــل :

عادة قديمة جداً في بلاد زهران، وتقام في ليلة عيد الفطر السعيد، وهي عبارة عن أعواد من الحطب تشعل بالنار، وتوضع في أعالي الجبال لإشعار سكان القرى المجاورة بانتهاء شهر الصـوم المبـارك، وحلول العيـد السعيـد. وعنـد رؤ يتهم لها يدركـون على الفـور مغـزاها، فيقـومـون بدورهم بوضـع مشاعلهم في أماكن مرتفعة من قراهـم. وهكذا دواليك حتى يعم النبأ جميع سكان زهران.

وتقوم المشاعل ـ كما رأينا ـ بدور المدفع في المدينة أو وسيلة الاعلام كالراديو مثلا. وترجع هذه العادة إلى الزمن الماضي الذي لم يعرف فيه سكان زهران أية وسيلة من وسائل الاعلام. ومع أن وسائل الاعلام انتشرت حالياً على نطاق واسع في هذه البلاد، إلا أن عادة المشاعل ما زالت قائمة ومعمول بها.

٦ ـ المراجيـــح :

كان الرجل في بلاد زهران قبل خمسين عاماً أو أكثر لا يسافر لأداء فريضة الحج إلا بعد أن يكتب وصيته، وبعد أن يودع أهله بالدموع الغزيرة وداع المفارق الذي لن يعود. ويرجع ذلك الوداع المرير إلى أسباب كثيرة منها صعوبة المواصلات، وأخطار الطريق، وقلة مناهل المياه، وبعد الشقة حيث كان السفر من زهران إلى مكة المكرمة يستغرق آنذاك مسيرة ستة أو سبعة أيام مشياً على الأقدام، يتعرض خلالها المسافر للموت جوعاً وعطشاً خصوصا إذا ضل عن الطـريق. لهذه الأسبـاب مجتمعة كان أقاربه يودعونه ذلك الوداع المرير، وكانوا ينتظرون أوبتـه على أحـر من جمر اللظى. وللترفيـه عن هؤ لاء المحزونين، كان رجال القرية ينصبون المراجيح طيلة أيام عيد الأضحى المبارك، ويجتمعون حولها ويبدأ التمرجح مصحوباً بقصائد شاعر القرية، وغالباً ما تكون قصائد هزلية يشار فيها إلى قرب عودة الحجاج، وإلى السمين وغير السمين من الأضاحي.

وتشبه هذه المراجيح المراجيح التي تنصب في المدن في أيام عيد الفطر السعيد، والهدف منها الاستمتاع والترفيه عن النفس. وقد اختفت هذه العادة نهائياً في السنوات الأخيرة.

٧ ـ رمي المشـل :

اعتـاد سكـان بلاد زهـران في الماضي إقامة حفلاتهم بعد انتهاء مواسم الحصاد، حيث يجدون الوقت الكافي للراحة والتفرغ لإحياء تلك الحفلات. وفي تلك الأثناء يتبارى الشباب

في رمى المثـل بالـرصـاص والمثل عبارة عن هدف صغير يوضع في مكان مرتفع على بعد ربع كيلو متر أو أكثر من مكان المباراة، وغالباً، ما يكون الهدف حجراً أبيضا يمكن رؤ يته بسهولة تامة.

ويشـترك في رمي المثـل عادة مجمـوعـة قبـائـل، فتختـار كل قبيلة أكفأ رجـل فيها على التصويب. وبالتالي يبدأ الرمي، فإذا أصاب أحد المشتركين الهدف اعتبرت قبيلته فائزة في تلك المباراة البطولية. ثم يعاد نصب الهدف ويأخذ المتبارون في رميه بالرصاص من جديد، وهكذا حتى ينتهي الوقت المحدد للرمي.

والهـدف من رمي المثـل هوبث روح الشجـاعـة في نفـوس الشبـاب، وتعويدهم على إطـلاق الـرصـاص وإصـابـة الأهداف ليتمكنوا من الدفاع بجدارة عن أنفسهم ووطنهم في أوقات الحروب. وقد أوشكت هذه العادة على الانقراض إن لم تكن قد انقرضت فعلاً.

٨ ـ الكســـوة:

وهي على نوعـــين:

* كســوة المسافـــر.
* كســوة الرجل لقريبته.

ا ـ كسوة المسافر:

تعـود شبـاب زهران منذ العهود القديمة على حـب الأسفار والتنقل من مكان إلى آخر طلبـا للرزق والعلم والأدب والـترويـح عن النفس. وقـد جرت العادة على أن يقدم المسافر حال عودتـه من سفـره كسـوة لجميع أفراد أسرته وأقاربه. وتتفاوت هذه الكسوة حسب درجة القـرابـة، فيقـدم المسـافـر عادة لأبيـه مشلحـاً صوفياً ثميناً وملابس كاملة. كما يقدم لإخوته وأعـامـه وأخـواله ملابس كاملة أيضاً تتكون من الثوب والعمامة والعقال وما يتبعها. أما بقية الأقارب فيقدم لكل واحد منهم عمامة وعقالاً وهكذا الحال بالنسبة للنساء، حيث تأخذ كل واحـدة منهن نصيبهـا من المـلابس النسـائيـة كالثيـاب المـوشاة بالقصب، والمناديل والمسافع الحريرية والخمر السوداء والحواك(١).

(١) الحواك: جمع حوكة وهي عبارة عن قطعة قماش حريرية تضعها المرأة فوق ملابسها زيادة في الاحتشام

وفي بعض الأوقات لا تكفي الملابس لكسوة جميع الأقارب، فيضطر صاحب الكسوة إلى التعويض عن ذلك النقص بالمال، فيعطي كل شخص مبلغاً من المال يعادل ما يستحقه من كسوة.

ب ـ كسوة الرجل لقريبته:

عادة قديمة تعارف عليها الناس في بلاد زهران، وما زالوا متمسكين بها، ومؤداها كالتالي:

إذا تزوجت الفتاة في زهران كرست جميع وقتها لخدمة زوجها وأولادها لدرجة أنها لا تجد الفرصة الكافية لزيارة ذويها إلا في النادر القليل المتمثل في الأعياد والمناسبات كحفلات الزواج والختان مثلاً. وعند زيارتها لأسرتها يجب على كبير الأسرة تقديم كسوة لها بمثابة هدية من الأسرة لإبنتها الزائرة. وغالباً ما تكون الكسوة مصنفاً حريرياً ثميناً أو طاقة من القماش الملون.

ولهذه الكسوة تأثير معنوي كبير في نفس الزائرة، وفي نفس زوجها، بغض النظر عن قيمتها المادية، وتقديمها دليل على رضا أسرة الزائرة، وعدمه يدل على العكس.

٩ ـ الرفد:

عبارة عن مبلغ من المال يعطى كمعونة لمن أصيب بكارثة من كوارث الدنيا، كمن يصاب باحتراق منزله، أو كمن حكم عليه بدفع دية، وهو معسر شريطة أن لا يكون في عمله ما يمس بدينه وشرفه وكرامة قبيلته.

ويتولى أقارب المصاب عادة جمع الرفد من كافة قبائل زهران، ومن شبابها الموجودين في بقية مناطق المملكة. ويستمر الجمع حتى يكتمل المبلغ المطلوب ثم يسلم للمصاب.

وما زالت هذه العادة الحسنة ـ التي تهدف إلى مد يد العون والمساعدة للمنكوبين ـ باقية حتى الآن، ولا يمكن أن يفرط فيها رجال زهران، لاقتناعهم بفوائدها الإنسانية الجمة.

١٠ـ السايرة:

مبلغ رمزي من المال يقدم في حفلات الزواج وحفلات الختان (الطهار) لمساعدة القائم بها. والسايرة عبارة عن دين غير مباشر يفرض على من يتسلمه إعادته في نفس المناسبات.

وربما حان ميعاد تسديده وهو لا يملك شيئاً فيضطر إلى الاستدانة لكي يتمكن من أدائه.

وضـرر هذه العـادة - كما يبـدو- أكثر من فائدتها المؤقتة، ولذلك فهي آخذة في التلاشي والاضمحـلال، وستنتهي فعـلاً في خلال فترة يسـيرة من الزمن. وتشبه السايرة الرفد الذي يقدم في المدن في حفلات الزواج إلا أنها هنا تدفع نقداً، بينما يكون الرفد في المدن عبارة عن خروف أو كيس أرز أو تنكة سمن وما شابه ذلك.

١١- تبادل العلــوم:

عادة قديمـة جداً، ومـا زالت قائمـة حتى الآن. ومؤداها أنه إذا وفد رجل مسافر أو من قرية بعيدة على قريب أو صديق له، فإنه يبدأ على الفور بإعلامه عن أسباب قدومه، وعن أخبار قريته، وفي مقدمتها الأخبار الزراعية وأخبار المطر. وباختصار يسرد الوافد على المقيم جميع ما يمكن أن يسأل عنه. وفي أثنـاء ذلـك السرد يكون صاحب الدار مصغياً إلى محدثه تمام الإصغاء بدون أن يقاطعه في حديثه حتى إذا انتهى بدأ صاحب الدار في الرد عليه بنفس الطـريقـة مبتـدأ بالترحيب والتسهيل به، ثم يأخذ بدوره في سرد أخبار قريته وأهم الأحداث التي حصلت بها في تلك الفــترة. واذا كان في البيت رجـل من أهـل القـريـة أكـبر سنـاً من صاحب الدار تولى الرد على الضيف وذلك تقديراً لكبار السن.

ومن الجدير بالذكر أن لهذه العادة فوائد كثيرة منها: قضاء الوقت في الحديث والمباسطة بحيث يشعر الضيف أنه في داره وبين أهله وذويه، وبالتالي التعرف على الأخبار دون اللجوء إلى الأسئلة والأجوبة المتكررة التي تبعث السأم والملل في النفوس.



الحياة الاقتصادية

يختلف النشاط الاقتصادي في بلاد زهران من مكان إلى آخر، تبعاً لاختلاف مظاهر السطح، وكمية الأمطار الساقطة، ومدى قدرة الفرد على امتلاك الأرض الزراعية فنجد الزراعة تتركز بشكل واضح في الأراضي السهلة والأودية والمدرجات الجبلية الصالحة للزراعة والتي تسقط عليها أمطار كافية. بينما نجد الأفراد الذين لا يملكون أراضٍ زراعية يعملون في حرفتي التجارة والصناعة لكي يوفروا لأسرهم ضروريات الحياة المعيشية.

أما حرفة الرعي فتقوم في المناطق الجبلية التي لا تسقط عليها أمطار كافية لقيام زراعة، وإنما تكفي لنمو نباتات وأعشاب فقيرة تتغذى بها الحيوانات كالجمال والأبقار والأغنام والماعز.

مما سبق يتضح لنا أن الحرف السائدة في بلاد زهران هي:

ا - الزراعة.

ب - التجارة.

جـ - الرعي.

د - الصناعة.

ا - الزراعة:

وهي الحرفة الأولى في بلاد زهران، وفيها يعمل معظم السكان وهي كما قيل سابقا «أم الاقتصاد» وحجر الزاوية الذي قامت عليه الحضارة البشرية، لوجودها - أي الزراعة - استقر البشر، ولعدمها تفرقوا ونزحوا عن مواطنهم الأصلية.

وبلاد زهران منطقة زراعية، وكان أهلها يعتمدون في حياتهم المعيشية إلى وقت ليس ببعيد على الزراعة، إذ لا تجد جزءاً من هذه البلاد غير مزروع، حتى الجبال، فقد حولت إلى مدرجات زراعية لاستغلالها، ومع ذلك فما زالت زراعة فقيرة إذا ما قسناها بزراعة بعض مناطق المملكة العربية السعودية كالقصيم والأحساء مثلاً، ويعود فقرها وتأخرها النسبي إلى قلة مصادر المياه والاعتماد على الآلات الزراعية القديمة وانصراف الشباب إلى الوظائف الحكومية.



المدرجات الزراعية ببلاد زهران

* مصـادر الميـاه :

تقوم زراعة بلاد زهران على مصدرين هما الأمطار والآبار العادية ، وتسقط الأمطار غالبـاً في فصـلي الشتـاء والربيع ، وتنقطع تماماً في فصلي الصيف والخريف ، فيترتب على هذا تقسيم الأرض الزراعية إلى قسمين يزرع أحدهما في فصلي المطر ويسمى « العثرى » وغـالبـاً ما يكـون هذا القسم مدرجـات جبليـة ، ويـزرع القسم الآخر في فصل الجفاف معتمـداً على الآبـار العـاديـة ويسمى «المسقـوي» ويـلاحظ أن أمطار هذه البلاد تسقط أحيـانـاً على شكـل زخـات عنيفة ، فتقضي على المزروعات وتجرف التربة . وفي بعض السنـين تنقطـع تقـريبـاً فيترتب على ذلك تعطيل الزراعة وانعدامها أحياناً ، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفـاع أسعـار الغـلال . وأحياناً يسقط المطر بانتظام فتنتعش الزراعة ، وتنتج الأرض أجود الغلات وأوفرها ، فيعم الرخاء ، وتنخفض الاسعار.

أما الآبار العادية فهي المصدر الثاني لري المزروعات وهي آبار عميقة جداً، ويستخرج منها الزراع الماء بواسطة السوانى أى القرب الكبيرة التي تسحبها الثيران، وهذه الطريقة بلا شك بطيئة ومتعبة في آن واحد.

وتسبب هذه الآبار مشكلات بين المزارعين لقلة مياهها ولاشتراك أكثر من مزارع فيها لضيق الرقعة الزراعية، فينتج عن ذلك أضرار بالغة في مقدمتها قلة الإنتاج، واعتقد جازماً أن أنسب حل لهذه المشكلة هو حفر آبار ارتوازية لسد العجز في الرى، ولتحقيق إنتاج أفضل وأكثر وفرة. هذا بالإضافة إلى إقامة بعض السدود لحجز مياه السيول، علماً بأن العمل يجري الآن في إقامة سد بوادي الصدر.

ب ـ الاعتماد على الآلات الزراعية القديمة:

كانت زراعة بلاد زهران تعتمد على الآلات الزراعية التقليدية كالمحراث والمنجل والفأس والمسحاة والسواني. وفي السنوات العشر الأخيرة بدأ بعض المزارعين في استخدام آلات الزراعة الحديثة كمضخات الماء والحراثات، وذلك بفضل إرشاد وتوجيه المكتب الزراعي بالمندق، ونتيجة لمد البنك الزراعي بالباحة للمزارعين بالسلف المالية لشراء تلك الآليات التي سيكون لها ـ ولا شك ـ أثر فعال في تطوير الزراعة اذا استخدمت بصفة مستمرة وعلى نطاق واسع. كما أخذ المكتب الزراعي يؤجر للمزارعين الحراثات الآلية التي تنجز في ساعة عمل يوم كامل بالآلات القديمة.

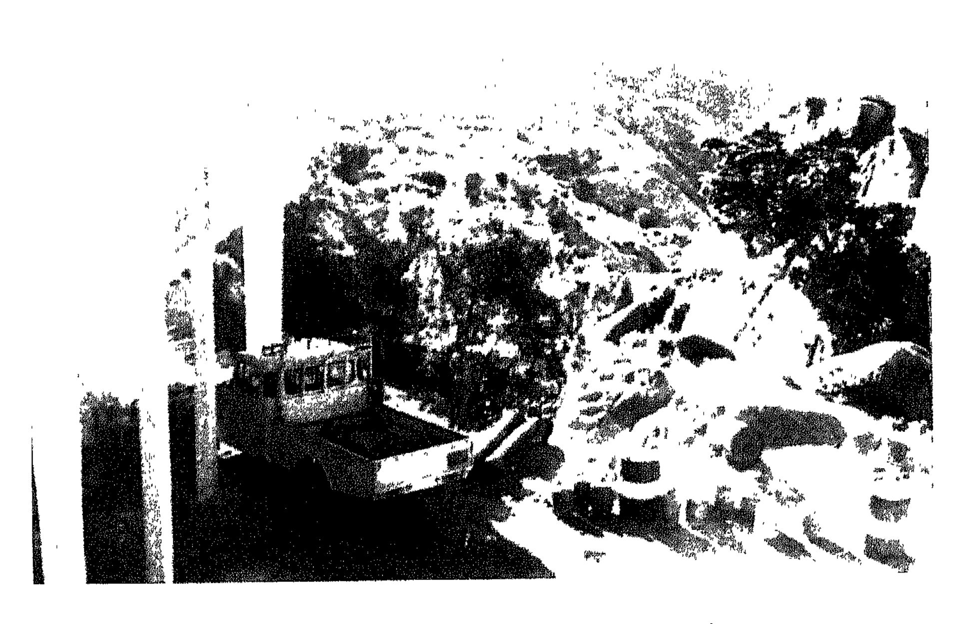
أما تسميد الأرض فما زال قائماً على السماد الطبيعي، ولم يعرف المزارعون بعد الأسمدة الكيماوية، كما أنهم على جهل تام بعملية الدورات الزراعية التي تريح الأرض وتجعلها تنتج إنتاجاً جيداً ووافراً، فهم يزرعون الأرض بصفة مستمرة، وفي نفس الوقت يزرع فيها في كل موسم غلة زراعية تختلف عن سابقتها، وهذا بطبيعة الحال يضر بالأرض، وينهك التربة إلى حد كبير. زد على ذلك أن الآفات الزراعية تفتك بالمزروعات أمام أعين المزارعين وهم حيارى لا يعرفون طرق مقاومتها، ، فينتج عن ذلك إتلاف جزء كبير من الثمار.

ويلاحظ في أوقات سقوط الأمطار أن كميات كبيرة من الماء تركد في الأرض وتبقى فيها فترة طويلة، والمزارعون لا يحركون ساكناً، ولهم الحق في ذلك لأنه لم يخطر في بالهم أن هناك عملية زراعية تسمى عملية الصرف، الهدف منها تصريف المياه الزائدة عن حاجة الأرض، لكي لا تتبخر المياه بفضل الحرارة، وتخلف كميات كبيرة من الأملاح في الأرض، ومعروف أن وجود أملاح فائضة عن حاجة الأرض ينزل ضرراً كبيراً بتربتها، ويقلل من إنتاجها.

جـ ـ انصراف الشباب عن الزراعة واتجاههم إلى الوظائف الحكوميـة :

العمـل الـزراعي متعب للغـايـة وممل في نفس الوقت، خصوصاً إذا كانت الأرض غير خصبة، ولا توفر للعاملين فيها ما يحتاجونه من ضروريات الحياة المعيشية فضلاً عن كمالياتها، ولهذا السبب انصرف الشباب عن الزراعة كليا واتجهوا إلى الوظائف الحكومية ذات الدخل الثـابت المنتظم الـذي يضمن لهم حيـاة أفضـل، ومكـانة اجتماعية أرفع، وحالة نفسية أكثر استقراراً. وقد تجلت هذه الظاهرة بوضوح في الأعوام الأخيرة حيث انتشر التعليم على نطاق واسع في بلاد زهران، والشباب المتعلم عادة يفضل العمل الوظيفي على الأعمال الحرة ومن ضمنها الزراعة.

وبـدوري أنصـح شبـاب زهـران المقيمـين بها بإعطـاء الـزراعـة ما تستحقه من العناية والاهتـمام، لا على حسـاب أعـمالهم الـرسميـة، وإنـما على حساب أوقات فراغهم التي لا يستفيـدون منهـا شيئـاً، وتضيـع عليهم هباء منثوراً حرصاً على سمعة بلادهم الاقتصادية، وحفظاً للأراضي الزراعية ـ التي سقيت بدماء الآباء والأجداد ـ من الدمار والخراب.



أشجار البن في قرية الكبة في أعلى جبل شدا بتهامة زهران

٢ ـ الغلات الزراعيـــة :

يزرع سكـان بلاد زهـران كل شبر من الأرض تتـوافر فيه المياه والتربة الصالحة، فتجد المـزارع الخصبـة تنتشـر انتشاراً كبيراً في الأودية وسفوح الجبال وهي ترفل بكسائها الأخضر، وتباهي بما تحمله من ثمار شهية . وتنتج هذه المزارع محاصيل زراعية متنوعة تغطي الاستهلاك المحـلي، وتفيض منهـا كميـات لا بأس بها تصـدر إلى بقيـة مدن المملكـة العـربية السعودية وخاصة مدن المنطقة الغربية الطائف ومكة وجدة .

ويمكن تقسيم المحاصيل الزراعية إلى الأقسام التالية :

ا ـ الحبـــوب .

ب ـ الفواكـــه .

جـ ـ الخضـــروات .

ا ـ الحبـــوب :

تأتي الحبوب بأنواعها في مقدمة الإنتاج الزراعي في بلاد زهران، وتصدر كميات كبيرة منهـا إلى الطـائف ومكـة وجـدة وتـربـة النخـل والخرمه، ويلاحظ أن لكل غلة من الحبوب مجموعة أنواع، يختلف كل نوع منها عن النوع الآخر من حيث الجودة وزمن النضج، وسنشير إلى جميع تلك الأنواع .

١ ـ **القمـــح** : وهـــو غلة صيفيـــة، ويأتي في مقـــدمـــة الحبـــوب سواء من حيث الإنتـاج أو الاستهلاك، وله خمسة أنواع رئيسية هي :

ا ـ **المابية** : وهي أجود أنواع القمح، وتمتاز بطول حبتها، وتستغرق زراعتها خمسة أشهر كاملة .

ب ـ **العسيرية** : وتلي المابية من حيث الجودة، وتستغرق نفس الزمن في الزراعة .

جـ ـ **الخولانية** : وهي سريعة النضج، وحبتها قصيرة .

د ـ **النخلية** : وتمتاز بلونها الأبيض، وتشبه إلى حد كبير القمح المستورد من استراليـا .

هـ ـ **السمراء** : وحبتها سمراء كبيرة نسبيـــاً .

٢ ـ **الشعـير**: ويأتي الشعـير بعـد القمـح مباشرة من حيث كمية الإنتاج، وهوغلة صيفية، ويستخدم كغذاء للمواشي وله ثلاثة أنواع هـي :

ا - **الشعير العربي**: ويمتاز بسنبلته الكبيرة، واستطالة حبته، وهو أجود أنواع الشعير، وتستغرق زراعته خمسة أشهر.

ب - **العجلانة**: واسم هذا النوع يدل على سرعة نضجه إذ تستغرق زراعته ثلاثة أشهر فقـط.

جـ - **الشعير المصري**: وسنبلته طويلة ذات شكل رباعي وسداسي أحياناً.

٣ - **الــذرة**: وتأتي في المرتبة الثالثة، وهي غلة شتوية، تستخدم كغذاء للمواشي ولها خمسة أنواع رئيسية هي:

ا - **الـذرة البيضـاء**: وتمتـاز ببيـاض لونها وطول عودها، لدرجة أنه يبلغ أحياناً ما يزيد على ثلاثة أمتار.

ب - **الذرة الحمراء**: وتنقسم إلى قسمين هما القذافة ذات العود القصير، البلس ذات العود الطويل.

جـ - **الذرة الصفراء**: واسمها مشتق من صفار لونها، وحبتها صغيرة.

د - **القشاشـــة**: وحبتها صفراء كبيرة صلبـــة.

هـ - **البسيســة**: وهي أسرع أنواع الذرة في النضج.

٤ - **الــــدق**: وهو غلة شتوية ذات نوعين هما: المجدولة، وحبتها صغيرة جداً، وتتراوح مدة بقـائهـا في الأرض من ثلاثـة أشهـر إلى أربعـة أشهـر، والسيــال وحبتها أصغر من حبة الدخن ولونها أحمر.

٥ - **الدخـــن**: وتقع معظم مزارعه في سهل تهامة، لأنه يحتاج رطوبة عالية وحرارة شديدة، وهوالمحصول الأول في تهامة زهران، ويستخدم كغذاء للإنسان والمواشي.

٦ - **حبوب أخرى متنوعة أهمهـا**: العدس واللوبيا والحبش (حب الحاج).

ب - الفواكـــه:

تنتج بلاد زهران - سراة تهامة - كميات كبيرة من الفواكه، يمكن ترتيبها حسب الأهمية الاقتصادية كالتالي:

١ ـ الرمـــان :

وتقـع أهم مزارعـه في واديي بطحـان وتربة ، ويمتاز بحجمه الكبير ومذاقه الحلو، ويدر على ملاك مزارعه أرباحاً جيدة .

٢ ـ اللـــوز

وتنتشر أشجاره في جميع بلاد زهران ، وتزرع عادة حول الأراضي الزراعية وفي المدرجات الجبليـة ، وتسقى لمدة عامـين فقـط ثم تعتمـد بعد ذلك على المطر، ولهذا فهي لا تحتاج إلى مجهـود كبـير . وتصـدر كميات كبيرة من اللوز إلى جميع مدن المملكة العربية السعودية حيث تباع بأثمان مرتفعة . ولوز بلاد زهران غني عن التعريف ، ولكنه ـ وللأسف الشديد ـ يتعرض في بعض السنـوات لفتـك الآفـات الـزراعيـة التي يجهـل الزراع حتى الآن طرق مقاومتها ، بالإضـافـة إلى سقـوط ثمارهـا في بعض الأحيـان نتيجة لهبوب رياح باردة من الجهة الجنوبية الغـربيـة تسمى القِـرَّة ، ولسقـوط أمطار العواصف المصحوبة بالبرد ، فينتج عن ذلك قلة في الإنتاج ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع أثمان اللوز حتى تصل أحياناً إلى الضعف أو أكثر .

٣ ـ الخـــوخ :

ويـلي الـرمـان واللوز من حيث غزارة الإنتـاج ، ويستهلك السكان كميات بسيطة منه ، ويصـدر البـاقي إلى مدن المنطقـة الغـربيـة ، ويبـاع في أسـواق بلاد زهـران الأسبوعية بأتفه الأثمان ، فتباع المائة حبة منه أحياناً بعدة ريالات .

٤ ـ فواكه أخـرى :

أهمهـا العنب والمشمش والبطيـخ والسفرجل والتين والبرشومى (التين الشوكي) والتفاح الحجازي والبرتقال والموز. وتقع أهم وأكثر مزارع الموز في جبل شدا زهران في تهامة ، وهذا الجبل يمتاز بغزارة مائه وخصوبة تربته ، ويلاحظ أن هذا الجبل ينتج غلات أخرى بالإضافة إلى الموز وأهمها البن والليمون .

جـ ـ الخضـــروات :

لم يعـرف سكـان بلاد زهـران زراعة الخضروات إلا منذ فترة وجيزة وذلك بفضل توجيه وإرشـاد المكتب الـزراعي للأهـالي ، وتعـريفهم بأهميـة الخضـروات من النـاحيتين الغذائية والتجارية ، فأقبلوا على زراعتها للغرضين معا .

أمـا أهم الخضـروات التي تزرع فعـلاً في بلاد زهـران فهي : البطـاطس والبـاميـة والفاصولياء والطماطم والباذنجان الأسود والملوخية والقرع .

الأشجـار الحرجيـة :

تنتشـر الأشجـار الحـرجيـة بغـزارة في بلاد زهـران ، فتضفي على سهـولها وجبالها نضرة وجمالاً ، بالإضافة إلى كونها تمثل ثروة خشبية لا يستهان بها . ومن أهم الاشجار الحرجية ما يأتي :

١ ـ الزيتـون «العتم» :

وهو من الأشجار الدائمة الخضرة التي تنمو في المناطق ذات الأمطار الشتوية وهذا المناخ يشبه الى حد كبير منـاخ بلاد زهران ، وخاصة مناخ الجهات الغربية من مرتفعات السراة . وتكسـو غابـات الـزيتـون مسـاحـات واسعـة في زهـران وقـد أدركت وزارة الـزراعة أهميتها الاقتصـاديـة فبـوشر منذ بضع سنوات في دراسة وتنفيذ مشروع يرمي إلى تطعيمها لتحويلها إلى أشجار مثمرة .

ونعلم جميعاً أن الزيتون غلة غذائية ، يستخرج منها مادة دهنية ، يستخدم النقي منها في الطعام ، ويستخدم غير النقي في بعض الصناعات ، كصناعة الصابون وصناعة الشمع .

وإذا وجـدت غابـات الـزيتـون العنـايـة الكافية ـ وستجدها إن شاء الله قريباً ـ فسوف تصبح مصدراً من مصادر الدخل القومي لا يستهان به .

٢ ـ العرعـــر :

وتأتي بعد أشجار الزيتون مباشرة من حيث الانتشار والكثافة ، وهي ذات رائحة عبقة ، ومنهـا يستخـرج سكـان بلاد زهـران القطـران ، ومن خشبهـا يسقفـون منازلهم ، ويصنعون الأبواب والنوافذ ودعامات البيوت «الزفـر» .

٣ ـ أشجار أخـرى :

أهمها الغرب والضرو والسمر والسدر والقرض والسيال ، والعرين والشبارق .

أما أشهر غابات بلاد زهران فهي : غابة عمضان بدوس ، وغابة عويرة ، وغابة ضرك ، وغـابـة جبـل الانصب ، وغـابـة بلخزمر ، وغابة شعب العرعر ، وغابة وادي الحبارى ، وغابة

جبـل قسيس في وادي الصـدر، وتختلف المسـاحـات بين غابة وأخرى، وكذلك تتفاوت من حيث الكثافة وضخامة الأشجار.

ويـلاحـظ ازدياد كثافة الأشجار واتساع مساحات الغابات في الأعوام الأخيرة وهذا فيما أعتقد يرجع للأسباب التالية :

١ ـ الأثـر الإيجـابـي الـذي نجـم عن تعـمـيـم قرار مجلس الـوزراء رقـم ٥٠٢٨ في ١٣٧٨/٤/٤هـ والمتضمن منع قطع الأشجار الخضراء، ومعاقبة من يخالف ذلك.
٢ ـ وضع حراس في مناطق الغابـات.
٣ ـ توزيـع المكتب الـزراعي في المندق لوحات إرشادية تحث الأهالي على ضرورة المحافظة على ثروة بلادهم الخشبية، وتبين لهم قيمتها الاقتصادية.
٤ ـ النهضـة العمـرانيـة التي سادت بلاد زهـران أخـيراً وانصـراف السكـان إلى استخدام الأسمنت والحديد في بناء منازلهم بدلاً من الأخشاب.

١ ـ التجـــارة :

وهي الحرفة الثانية في بلاد زهران، ويعمل فيها الكثير من سكانها، وخصوصا أصحاب الأراضي الزراعية الواسعة ذات الإنتاج الوافر، وملاك الأغنام والأبقار.

وتنقسم تجارة بلاد زهران إلى قسمين هما :

١ ـ التجارة المحلية القائمة في داخل البلاد، وخصوصاً في الأسواق الأسبوعية.
٢ ـ التجارة الداخلية التي تتم بين سكان بلاد زهران وبين بقية مدن المملكة العربية السعودية.

١ ـ التجارة المحليـة :

جرت العـادة في بلاد زهـران على إقـامـة أسـواق في أيام معلومات من كل أسبوع لكل قبيلة سوقها الخاص بها، ويقام في أكبر قراها، فيفد إليه الناس من جميع نواحي زهران للبيع والشراء. وأهم السلع التي تباع في تلك الأسواق هي :

الغلات الزراعية بأنواعها، والأغنام والأبقار والإبل، والأخشاب، والأقمشة ومنتجات الألبـان والعسـل والأواني النحـاسيـة، والحلى الفضية، والبسط والمظلات النسائية وما شابه

ذلـــك . ويستمـــر السـوق من طلوع الشمس حتى حلول صلاة الظهـر، حيث ينفض جمع الناس، ويعود كل فرد إلى قريته حاملاً ما اشتراه من سلع .

ومن الجدير بالذكر أن هناك تجاراً متنقلين يذهبون بسلعهم من سوق إلى آخر، ولهم في كل سوق أماكن خاصة بهم يعرضون فيها سلعهم . كما أن اليوم الذي يقام فيه السوق يعتبر بمثـابـة عطلة أسبـوعيـة للأهـالي يخلدون فيها إلى الراحة ويهبطون(1) إلى السوق لشراء ما يحتـاجـونـه من سلع ، ولـلاجتـماع بأصـدقـائهم ومعارفهم من وفود القبائل الأخرى . وعلى العمـوم فسـوق كل قبيلة يعتـبر مهـرجاناً أسبوعياً لها ، يتقاطر إليه الأفراد والجماعات من كل مكان، لا للبيع والشراء فحسب بل وللاجتماع والترفيه عن النفس .

وفيما يلي أهم الأسواق الأسبوعية في بلاد زهران سراة وتهامة :

عـدد	اسم السـوق	القرية التي يقام بها	القبيلة	المكـان
١ ـ	سوق السبت	المندق	بنوكنانة	السراة
٢ ـ	سوق السبت	الرومى	بنوعامر	السراة
٣ ـ	سوق السبت	النقعة	بنوحسن	السراة
٤ ـ	سوق الاحد	الحجرة	بنوسليم	تهامة
٥ ـ	سوق أحد مشرف	مشرف	دوقة المشاييخ	تهامة
٦ ـ	سوق الثلاثاء	قلوه	الاحلاف	تهامة
٧ ـ	سوق الثلاثاء	الكرادسة	بنوعدوان	السراة
٨ ـ	سوق الثلاثاء	آل نعمة	دوس بني فهم	السراة
٩ ـ	سوق الأربعاء	الاطاولة	قريش	السراة
١٠ـ	سوق الأربعاء	الصفح	بلخزمر	السراة
١١ـ	سوق الخميس	برحـرح	دوس بنى فهـم	السراة
١٢ـ	سوق الخميس	الشعراء	بنوسليم	تهامة
١٣ـ	سوق السبت	الجرداء	دوس بنى على	تهامة
١٤ـ	سوق الخميس	المخواه	بنى عمر العلى	تهامة
١٥ـ	سوق الخميس	نيرا	بنى عمر الاشاعيب	تهامة

١ ـ يهبطون : من هبط وتعنى لدى الزهرانيين ذهب باللهجة المحلية

ومن الملاحظ أنه لم يكن في بلاد زهران قبل عشرين عاماً أسواق عامة منتظمة طيلة أيام الأسبوع ، وإنما كان جل اعتماد السكان في البيع والشراء على الأسواق الأسبوعية فقط . ومع مرور الأيام بدأت المتاجر الكبيرة تفتح أبوابها باستمرار فنتج عن ذلك تكوين الأسواق اليومية الثابتة في معظم القرى ، وأصبح الفرد يجد حاجته في قريته أو في أقرب قرية لها . ومع ذلك فمازالت الأسواق الأسبوعية التقليدية قائمة ومحافظة على مكانتها وقيمتيها التجارية والاجتماعية في نفوس السكان ، والمشاهد لها يرى صورة قريبة الشبه من الأسواق العربية التي أقامها أجدادنا منذ ألفي عام ، والتي تبارى الكتاب في وصفها وتصويرها لنا في ثنايا كتب الأدب والتاريخ .

٢ ـ التجارة الداخلية :

ونقصد بها عملية البيع والشراء التي تتم بين سكان بلاد زهران من ناحية ، وبين تجار بقية مدن المملكة العربية السعودية من ناحية أخرى . وتنشط هذه التجارة في سنوات الرخاء حيث تجود الأرض الزراعية بأوفر وأجود الغلات فيسافر الناس لبيع ما يفيض عن حاجتهم من الغلات الزراعية بأنواعها بالاضافة إلى السمن البرى وعسل النحل المصفى وغير المصفى . وغالباً ما تتم هذه العملية ـ التجارة ـ في مدن المنطقة الغربية من المملكة لقربها من بلاد زهران . وبعد الانتهاء من عملية البيع يشترى كل فرد ما يحتاج إليه من أقمشة وسلع أخرى ، ثم يعود إلى بلدته بالربح الوفير .

وفي موسم الحج يختار الرعاة أسمن أبقارهم وأغنامهم وجمالهم ويسافرون بها مشياً على الأقدام الى مكة المكرمة ، ومنها إلى عرفات ومنى حيث يبيعونها هناك بأثمان مناسبة على حجاج بيت الله الحرام .

وتنشط تجارة التمور في أواخر فصل الصيف ، فيسافر التجار من زهران إلى تربة النخل والخرمة ، ويعودون بالسيارات محملة بالتمور ، وبالتالي يأخذون في بيعها في الأسواق الأسبوعية المتنقلة .

كما أن هناك صلات تجارية قوية بين تجار بلاد زهران ، وبين تجار مدن المنطقة الغربية ، وخاصة الطائف ومكة وجدة . ومن الآخرين يشترى ما تحتاج إليه بلاد زهران من شتى أنواع السلع ، وفي مقدمتها الأقمشة ومواد البناء والأواني النحاسية .

وقـد نتـج عن تلك الصـلات توفر سائر أنواع البضائع في زهران، والقضاء على عملية الاحتكار التي كانت تسيطر على تجارة الأسواق الأسبوعية، وبالتالي اعتدال الأسعار إلى حد كبـير مما جعـل السكـان يقبلون على شراء حاجيـاتهم من داخـل بلاد زهران بدلاً من تكبد مشاق السفر لشرائها من المدن القريبة.

وفي هذا كما يبـدو توفـير للوقت والمال، وإنعاش للتجارة المحلية والداخلية وقد انتشرت حرفـة التجـارة بشكـل ملحوظ في بلاد زهران في الأعوام الأخيرة واتجه كثير من السكان إلى العمل فيها، فترتب على ذلك ارتفاع مستوى المعيشة، ونمو الوعي الاقتصادي فيها نتيجة للاحتكاك المباشر بين تجار بلاد زهران وبين تجار مدن المملكة العربية السعودية.

جـ - الثروة الحيوانيــة:

تأتي حرفة رعي المواشي من حيث الأهمية بعد حرفتي الزراعة والتجارة، وتمثل مصدراً هاماً من مصادر الدخل القومي في بلاد زهران، ويحترفها في الغالب الأفراد الذين لا يملكون أراض زراعية توفر لهم ما يحتاجونه من أسباب الحياة المعيشية.

وبـالـرغم من أن حرفـة الـرعي في المملكـة العـربيـة السعودية على وجه العموم حرفة إستهلاك الا أن الرعاة في بلاد زهران مستهلكون ومنتجون في آن واحد.

وتتركز حرفة الرعي في الجهات قليلة المطر ذات النباتات والأعشاب الفقيرة، وخصوصاً في الجهـات الجبليـة الـواقعـة في شرقي تهامـة، وشرقي مرتفعات السراة حيث تقل الأراضي الصالحة للزراعة.

وتنتعش حرفـة الـرعي في فصـلي الشتـاء والـربيع حيث تسقط الأمطار وتنمو الأعشاب البرية بوفرة، فينتج عن ذلك الانتعاش إنخفاض أثمان الحيوانات ومنتجاتها كالألبان والسمن البرى والصوف.

ورعاة بلاد زهران سراة وتهامة مستقرون في الغالب بعكس الرعاة في بقية مناطق المملكة العربية السعودية، ويندر أن يرحلوا عن قراهم، اللهم إلا في سنوات الجدب حيث تقل كمية الأمطـار إلى درجـة كبـيرة، وبالتالي تنعدم الحياة النباتية البرية، فيضطر الرعاة حينذاك إلى التنقل من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ في داخل حدود بلاد زهران، وغالباً ما يستقرون حول منـاهـل الميـاه الدائمة، ويكونون على اتصال دائم بقراهم. ويطلق الأهالي على هذه الفئة من الرعاة اسم (العزوب).

وأهم الحيوانات التي يقومون برعيها هي الأغنام والماعز في السراة، والإبل والأبقار والأغنام والماعز في تهامة. وتصدر كميات كبيرة من هذه الحيوانات إلى بقية مدن المملكة وخاصة في موسم الحج كما يستهلك الأهالي أعداداً لا بأس بها في الأعياد والمناسبات، وقد عانى الرعاة في السنوات الماضية من مشكلة الأحمية، وهي أراض غير زراعية تنمو فيها النباتات والأعشاب البرية بوفرة، ولا يسمح لغير أصحابها بالرعي فيها.

وقد انتشرت تلك الأحمية في جميع أنحاء بلاد زهران لدرجة أنه أصبح لكل شخص تقريباً حمى خاص به، علاوة على الأحمية القبلية العامة المتعارف عليها مما سبب مشكلات خطيرة ومستمرة بين السكان، ومن أبرزها تلك المشكلة التي وقعت بين قريتي عنازة والجماجم بقبيلة بالخزمر، وأدت إلى مقتل أربعة عشر رجلاً من رجال القريتين. وهذه المشكلة لفتت أنظار المسؤولين إلى الأحمية فصدر تعميم وزارة الداخلية رقم ٢/١/١٠/ ص/٣٧٣٠/١ في ٢١/٤/١٣٨٩هـ ونص على وجوب المحافظة على الأراضي غير المزروعة للدولة على اعتبار أنها أراض بيضاء. ولكي ينفذ هذا التعميم الحاسم على نطاق واسع فقد أخذت السلطات الإدارية بزهران التعهدات اللازمة على جميع أصحاب الأحمية بعدم حماية تلك الأراضي. فتنفس الرعاة الصعداء، ووجدت الحيوانات الغذاء الكافي لها مما ساعد على تكاثرها، وبالتالي القضاء على تلك العقبة الكأداء التي كانت تقف حجر عثرة في طريق نمو الثروة الحيوانية في بلاد زهران.

د ـ الصناعة:

وهي المظهر الرابع من مظاهر الحياة الاقتصادية في بلاد زهران، وهي بطبيعة الحال صناعة يدوية بسيطة، تقتصر على صنع الأدوات الضرورية لحياة الناس العامة، ويعمل فيها فئة قليلة من السكان الذين لا يملكون أراضٍ زراعية تؤمن لهم متطلبات الحياة المعيشية.

ومن أهم أنواع تلك الصناعة الصناعات التالية:

١ ـ صناعة المنسوجات الصوفية.

٢ ـ صناعة الأدوات الزراعية.

٣ ـ صناعة الحلى الفضية.

٤ ـ المصنوعات الجلدية.

٥ ـ الصناعات الخشبية .
٦ ـ صناعة الأدوات السعفية .

١ ـ صناعة المنسوجات الصوفية :
يساعد الاستهلاك المحلي الكبير للأغنام والأبقار على توفير مادة الصوف الخام الذي يصنع منه السكان المنسوجات التالية :

العباءات الصوفية : ويرتديها الرجال والنساء في فصلي الشتاء والربيع لشدة البرد ، ويسميها الأهالي «الجباب» (جمع جبة) وقد درجوا على استعمالها منذ مئات السنين . وتباع العباءة الرجالية عادة بمبلغ أربعمائة ريال . بينما تباع العباءة النسائية بـ مائتي ريال فقط . ويرجع هذا الاختلاف في الثمن إلى طول العباءة الرجالية ، وقصر العباءة النسائية . وتزين العباءات برسوم وأشكال هندسية جميلة ملونة . ومن مميزاتها تحملها لكثرة الاستعمال .

بيوت الشعر : وتشبه الخيام ، ويستخدمها الرعاة أثناء ترحالهم طلباً للماء والعشب . وينقسم بيت الشعر عادة إلى قسمين أحدهما أمامي للرجال والآخر خلفي للنساء . ومن مميزات بيوت الشعر دفؤها . وتحملها للاستعمال عشرات السنين .
البسط الصوفية : وتعرف باسم «الشمال (جمع شملة)» ويقصر استعمالها في الغالب على الرعاة .

٢ ـ صناعة الأدوات الزراعية :
تعتمد الزراعة في بلاد زهران إلى حد كبير على الأدوات الزراعية القديمة كالمحراث والمنجل والفأس والمسحاة ، ولهذا فهي تصنع محليا ، ويقوم بصنعها أناس يطلق عليهم الأهالي اسم «الصناع» ومما يجدر ذكره أن الزراع لا يدفعون للصناع مبالغ مالية مقابل اصلاحهم لتلك الأدوات إذا اقتضت الضرورة إصلاحها ، بل يدفعون لهم مقادير من الحبوب في مواسم الحصاد فقط ، فيحتفظ الصناع بما يكفيهم منها ، ويبيعون الفائض عن حاجتهم في الأسواق الأسبوعية لينفقوا ثمنه في شراء ما يحتاجون إليه من ملابس وأشياء أخرى .

٣ ـ صناعة الحلى الفضيـة :

لم يستعمـل النسـاء في بلاد زهـران الحلى الـذهبيـة في الزينة إلا منذ أعوام قليلة جداً ، وذلك لإنخفاض مستوى المعيشة ، ولإنشغال المرأة في أعمالها المنزلية ، وفي مساعدة زوجها في أعماله الزراعية ، وليس معنى هذا أن المرأة في هذه البلاد لم تكن تتزين بالحلى ، بل العكس هو الصحيـح فالمـرأة في زهـران تعـودت على التحلى بالحلى الفضيـة التي تتحمـل كثـرة الاستعمال بالإضافة إلى رخص أثمانها ، مما يتناسب مع ظروف زهران المادية .

وتصنـع الحلى الفضيـة محليـاً ، وهذا يزيد في إقبال النساء عليها والتزين بها . ومن أهـم أنواعها : الحجول والخواتم والشمالي والمسك واللزم والأقراط ، والزمام والقلائد والبرم .

٤ ـ الصناعات الجلديـة :

يحتفـظ سكـان بلاد زهـران بجلود الحيـوانات التي يذبحونها ، ويقومون بدبغها ومن ثـم يصنعـون منهـا مصنـوعـات عديـدة يستخـدمـونهـا في حيـاتهم الخاصة والعامة ، ومن أهمها المصنوعات التالية :

قرب المـاء : وتستعمـل لإحضـار الماء من الآبار وتساعد خفة وزنها على كثرة استعمالها ، وحملها بسهولة من البئر إلى البيت .

الغروب (جمع غرب) : وهي قرب كبيرة جداً يستخدمها الزراع في عملية استخراج مياه الـري من الآبـار ، حيث تربـط بحبـال غليظـة مصنـوعـة من الجلد ، وتسحبها الثيران لاخراجها من البئر .

العكـاك (جمـع عكـة) : وهي عبـارة عن قرب مختلفة الأحجام يحفظ فيها السمن البرى وعسل النحل ، وتساعد العكاك على بقاء ما يحفظ فيها مدة طويلة بحالة سليمة .

الشكي (جمـع شكـوة) : وهي قرب صغيرة يوضع فيها الحليب ويخض لتحويله إلى لبن رائب تستخرج منه الزبدة التي تتحول بدورها إلى سمن برى .

٥ ـ الصناعات الخشبية :

ذكـرنـا في موضـوع الزراعة أن الأشجار تنتشر في بلاد زهران ، وانتشارها يساعد بطبيعة الحال على توفير الأخشاب التي يصنع منها الأهالي الأشياء الآتية :

ا ـ **الأبـواب والنـوافـذ**: يصنـع سكـان بلاد زهـران أبواب منازلهم من خشب العرعر لمتـانتـه واستقامة أعواده، ويزينونها بنقوش جميلة، فتبدوا وكأنها لوحات فنية رسمها يراع فنان بارع.

ب ـ **دعـامـات البيـوت**: ويسميها الأهالي «الزفر» وهي عبارة عن أعمدة ضخمة يستند عليها خشب الأسقف، وتقوم بدور الأعمدة المسلحة في المنازل الحديثة. ويعنى الأهالي كثيراً بهذه الأعمدة الخشبية، فيزخرفونها بنقوش وأشكال هندسية ملونة بديعة، وتوضع عادة في مجالس الاستقبال.

جـ ـ **الـدوارج (١) والمحـال**: وهي عبـارة عن بكرات دائرية أو مخروطية الشكل تصنع من أشجار الغرب، وتوضع على الآبار لتسهل مهمة استخراج الماء من البئر بواسطة السواني.

د ـ **الضمـود**: جمع ضمـد، وهـو عبـارة عن خشبـة تصنـع بطريقة هندسية بارعة من خشب أشجـار الغـرب الـذي يمتاز بنعومته وصلابته، ويضعها الزراع في رقاب الثيران أثنـاء عمليـة الحـرث والـرى والـدرس، وبواسطتها يتمكنوا من التحكم فيها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

٦ ـ **صناعة الأدوات السعفية**:

تصنع هذه الأدوات من سعف النخل، وتستعمل في مجالات شتى أهمها التالي:

ا ـ **مظلات النساء (جمع مظلة)**:

وهي قبعات كبيرة ذات حواف عريضة تضعها المرأة فوق رأسها عند خروجها من المنزل، وخاصة في فصل الصيف لتحميها من حرارة الشمس.

ب ـ **قفاف الغلال (جمع قفة)**:

وهي أوعيـة كبـيرة جداً يحفـظ فيها الأهالي الحبوب بأنواعها وهي من الكبر بحيث تتسـع لأكثـر من ثلاثـة أرادب من الحبوب، وتنحصر فائدتها في كونها تحفظ الغلال من الحشرات.

---

١ ـ الدوارج: جمع دارجة. والمحال: جمع محّالة

جـ ـ المناسف:

وتشبه صحون الطعام المقعرة، وتستعمل في حمل الهدايا من بيت إلى آخر، وفي وضع مستلزمات القهوة العربية والشاى أثناء حفلات الزفاف.

د ـ الحصير:

وهي بسط كبير، تفرش تحت السجاد والبسط الصوفية.

هـ ـ مصنوعات أخرى كموائد الطعام وسجاجيد الصلاة والمراوح والمكانس وغيرها.

ومن الثروات الطبيعية التي تتوافر في بلاد زهران الثروة المعدنية، فقد اكتشف في الأعوام الأخيرة وجود بعض المعادن في أماكن مختلفة من هذه البلاد وهي:

١ ـ وادي الخضراء وجبل الهرمل، ويقعان في غرب سلسلة جبال عيان التي تمتد من شمال شرق قرية بني سار بقبيلة بني عامر محاذية لوادي بيدة.

٢ ـ جبل المعملة ومنور بالقرب من قرية محوية.

٣ ـ جبل السود في شمال قرية منحل.

ويوجد بالموقعين الأخيرين معادن الكالكوبيرايت والفاليرايب ونسب من الذهب والفضة. كما ورد في تقرير رسمي لوزارة البترول والثروة المعدنية نشر في إحدى الصحف المحلية أن التقديرات المبدئية للخام في الموقع الأول (جبال عيسان) يبلغ ٢٫٤ مليون طن من النحاس والمعادن الأخرى.

وفي تهامة زهران يوجد موقعان يحتمل وجود معادن بهما وهما جبل صلحب وجبل صميع على مقربة من بلدة قلوة، وبهذين الموقعين آثار تدل على محاولات لاستخراج معادن منهما في وقت سابق.



السياحة

موقع بلاد زهران الجغرافي في أعالي جبال السروات، على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر، وهطول كمية وافرة من الأمطار عليها ساعد على تغطية مساحات من جبالها وأوديتها بغابات من الأشجار، وخصوصاً الجهات المطلة على سهل تهامة، هذا بالإضافة إلى مناخ هذه البلاد الذي يمتاز بلطفه واعتداله صيفاً، كل هذه العوامل مجتمعة، تجعل من بلاد زهران مصيفا ومنتجعاً سياحياً، خاصة إذا اهتم أبناء هذه البلاد والمسؤولون بها بتوفير الخدمات السياحية التي قد تشجع المزيد من سكان بقية مناطق المملكة على ارتيادها والتمتع بطبيعتها ومناخها البديع.



الطبيعة البكر في بلاد زهران: الماء والخضرة والهواء النقي

ومع أن بلاد زهران في حاجة إلى بعض الخدمات السياحية وفي مقدمتها الفنادق إلا أن البديل موجود ويكمن في طبيعة المنطقة البكر، وما يتمتع به سكانها من صفات حميدة منها: كرم الضيافة وسماحة الأخلاق. كما أن كل بقعة من بلاد زهران تعتبر متنزهاً طبيعياً يسر العين ويبهج النفس.

ومن أهم الأماكن السياحية في زهران:

١ ـ **غابة عمضان**: على بعد ٥٥ كيلو متراً شمال مدينة الباحة وتكثر فيها أشجار الزيتون البري والنباتات العطرية.

٢ ـ **غابة جبل الانصب**: وتطل على سهل تهامة، وهي على مقربة من بلدة المندق، ومعظم أشجارها من الزيتون والعرعر.

٣ ـ **غابة الحدب**: ببلاد دوس في شمال منطقة الباحة.

٤ ـ **غابة برحرح**: غربي وادي برحرح.

٥ ـ **غابة مخلوه**: جنوب قرية المشايعة وأشجارها من الزيتون البرى والعرعر والشث والطباق.

٦ ـ **المسيكة**: حمى ببنى سار بقبيلة بنى عامر في شمال شرق الباحة، وبه أشجار كثيفة من العرعر وبه مياه جارية.



غابة بالقرب من بلدة المندق

التعليم

مر التعليم في بلاد زهران بمرحلتين هامتين هما :

١ ـ مرحلة التعليم في المساجد والبيوت .

٢ ـ مرحلة التعليم في المدارس الحكومية .

١ ـ مرحلة التعليم في المساجد والبيوت :

حرص سكان بلاد زهران في الماضي على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم وما تيسر من الحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي ، وذلك تهذيباً لأخلاقهم وتعريفاً لهم بمبادىء دينهم الإسلامي الحنيف .

وكان التعليم يتم في بيوت أئمة المساجد أو في مساجد القرى ، فكان طلاب كل قرية يقصدون إلى المكان المتفق عليه مع معلمهم «الفقيه» ويتجمعون حوله في حلقات أشبه بحلقات الذكر ، وبيد كل طالب مصحفه ولوحه الخشبي ، فيبدأ المعلم بتعليمهم حروف الهجاء ، حتى إذا أتقنوها نطقاً وكتابة أخذ يدرسهم في المصحف الكريم والحديث والفقه .

وتنتهي عادة دراسة الطالب بانتهائه من قراءة المصحف بكامله وحفظه للدروس المقررة في الحديث والفقه ، فيغادر الحلقة ليترك الفرصة لطالب آخر .

ويدفع أولياء أمور الطلاب للمعلم مبلغاً رمزياً من المال في مناسبات خاصة كالأعياد مثلاً ، ومن لم يستطع دفع ذلك المبلغ البسيط للمعلم أعطاه مقداراً من القمح أو الشعير في نظير ذلك .

ومع أن هذه الطريقة في التعليم تعتبر في وقتنا الحاضر بدائية ولا تحقق الهدف المنشود ، إلا أنه كان لها أثرها الفعال في ذلك الوقت الذي لم تعرف فيه المدارس النظامية .

وهكذا استمر التعليم إلى وقت ليس ببعيد حيث فتحت المدارس الحكومية المنتظمة وقضى بالتالي على تلك الطريقة البدائية في التعليم .

٢ ـ مرحلة التعليم في المدارس الحكومية:

تمر بلاد زهران حالياً بمرحلة تعليمية كبرى، لا نخطىء إذا أسميناها طفرة، فإقبال الناس على التعليم شديد، ومطالباتهم بفتح المزيد من المدارس سيل لا ينقطع، وأعداد الطلاب تتضاعف بصفة مستمرة، ووزارة المعارف الجليلة تبذل جهوداً كبيرة لرفع مستوى بلاد زهران التعليمي عن طريق فتح المدارس في جميع القرى المستحقة لها، وتزويدها بما تحتاج إليه من مدرسين وكتب وأثاث مدرسي، بالإضافة إلى المعونات المادية التي تقدمها لطلاب المدارس المتوسطة (المغتربين) تشجيعا لهم على الاستمرار في الدراسة ليشاركوا في بناء صرح مجتمعهم على أسس سليمة.

وقد فتحت أول مدرسة نظامية في بلاد زهران في عام ١٣٥٨هـ في قرية بني سار أكبر قرى قبيلة بني عامر، وبعد أحد عشر عاماً فتحت مدرستان في بطحان والعصداء. ومن ثم بدأت وزارة المعارف الجليلة في فتح العديد من المدارس في كل عام في بلاد زهران سراة، وتهامة، وما زالت توالي جهودها الموفقة في هذا المجال.

وتمشياً مع الحديث النبوي الشريف: **«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»** فقد فتحت وزارة المعارف عدداً كبيراً من المدارس لمكافحة الأمية في مختلف قرى زهران، وإقبال كبار السن عليها ممن فاتهم قطار التعليم منقطع النظير، مما يدل على إدراك سكان زهران لأهمية التعليم في تطوير المجتمع.

وبما أن التعليم واجب على كل مسلم ومسلمة، فقد قامت الرئاسة العامة لتعليم البنات بفتح العديد من المدارس لتعليم الفتيات ولم يعارض الأهالي في فتح تلك المدارس، بل دفعوا بناتهم إليها دفعاً لإدراكهم وإيمانهم بأن التعليم ليس وقفاً على البنين فقط، وانما يشمل البنين والبنات كما نص ديننا الحنيف.

ويعمل في مدارس البنات بزهران مدرسات من فتيات زهران تلقين تعليمهن في المدن، ثم عدن للمساهمة في بناء مجتمعهن.

كما أن نسبة كبيرة من العاملين في مدارس البنين من شباب زهران.

ويشرف على سير التعليم في سراة بلاد زهران مكتب للتعليم في الاطاولة يتبع لإدارة التعليم بالباحة.

أما مدارس تهامة زهران فيشرف عليها مكتب إشراف المخواه أكبر قرى قبيلة بني عمر العلى بزهران.

مظاهر التطور

تسير المملكة العربية السعودية بفضل رعاية جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمين، سيراً حثيثاً في طريق التطور والمدنية الحديثة وفق تعاليم ومبادىء ديننا الإسلامي الحنيف وعاداتنا العربية الأصيلة، ومجتمع بلاد زهران جزء لا يتجزأ من المجتمع السعودي الكبير الذي نهضت به حكومتنا الرشيدة في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وتمر بلاد زهران كغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية بتقدم ملموس، فمن الناحية العمرانية كان سكان هذه البلاد إلى وقت قريب جداً يبنون منازلهم من الحجر والأخشاب بحكم موقع بلادهم الجغرافي في مناطق جبلية تكثر فيها الاحجار الصالحة للبناء، وتسقف تلك المنازل غالباً بالخشب، ومنه تصنع الأبواب والنوافذ، وتطلى بزيت القطران ليزيدها متانة، وفي الوقت الحاضر بدأ شكل البناء يتغير واستعاض السكان عن الخشب والحجر بالأسمنت المسلح، وأخذوا في تشييد منازلهم على الطراز الحديث، يدفعهم إلى ذلك إدراكهم للفارق الكبير بين المنازل الحجرية والمنازل المسلحة من حيث التكاليف وسرعة الإنجاز وجمال المظهر، هذا فضلاً عن القروض العقارية التي وفرتها حكومتنا الرشيدة للمواطنين وهيأت السبل للاستفادة منها، خاصة وأن الدولة أخذت زمام المبادرة، وشرعت في بناء مقرات الإدارات الحكومية والمباني المدرسية على الطراز الحديث الذي يوفر للمباني الإضاءة اللازمة والتهوية الكافية اللتين تفتقر اليهما المنازل القديمة.

ومن الملاحظ أن أول ما يلفت انتباه الزائر لبلاد زهران كثرة حصونها الشامخة الضخمة ذات الأبراج العديدة، ففي هذه البلاد ما لا يقل عن خمسمائة حصن منتشرة في جميع القرى، وقد بنى الناس تلك الحصون قبل قيام العهد السعودي الزاهر، عهد العدل والأمان لحماية أنفسهم من غارات القبائل الأخرى، والمتمعن في بناء تلك الحصون يدرك على الفور الجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل إقامتها لتقف شامخة أمام عاديات الزمن، ولو أنها أقيمت في وقتنا الحاضر لما كانت هناك غرابة، ولكنها بنيت في وقت لم يعرف فيه السكان أية وسيلة من وسائل الهندسة المعمارية الحديثة بل كان اعتمادهم يتركز على حاجتهم الماسة لتلك المباني الحصينة،

وبالتالي عملهم الجاد لتحقيق تلك الحاجة. وقد أصبحت هذه الحصون الآن عبارة عن آثار تاريخية يعتز بها أبناء زهران ويحرصون على بقائها كجزء من تاريخهم وتراثهم.



أحد الحصون الحربية القديمة

وكانت الكهرباء قبل ثلاثين عاماً تقريباً تعد من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها بيسر وسهولة، أما الآن فقد أصبحت ضرورة من ضرورات المجتمعات الحديثة السائرة بخطى حثيثة في مضمار المدنية المتطورة، ولم يعرف سكان بلاد زهران الكهرباء إلا منذ وقت قريب، وأدركوا فوائدها الجمة، الأمر الذي أدى إلى انتشار مولداتها العامة والخاصة في كثير من القرى، ونتج عن ذلك قيام بعض الجمعيات التعاونية كان من أهم أغراضها إنارة القرى

بالكهرباء، هذا بالإضافة إلى إنشاء عدة شركات أهلية في الأطاولة وبني حسن وبني عامر، وقد عمت الكهرباء حالياً بحمد الله ثم بفضل أولى الأمر جميع قرى بلاد زهران السراة حيث تغذيها شركة كهرباء الباحة الموحدة، والعمل جار على قدم وساق لتمديد التيار الكهربائي إلى القسم التهامي من زهران، آملين أن يتحقق ذلك قريباً.

وفيما يتعلق بالمواصلات ووسائلها، فكان سكان بلاد زهران إلى وقت ليس ببعيد يعتمدون في تنقلاتهم على الدواب من جمال وحمير، وكانت هي وسائل النقل المتعارف عليها، وكان هناك أناس مخصوصون يقومون بنقل المسافرين والبضائع على دوابهم نظير أجر زهيد.

أما الآن فقد تغيرت الأوضاع، وتطورت وسائل المواصلات نتيجة لتحسن أحوال الناس المادية، ولقيام حكومتنا الرشيدة بشق الطرق داخل زهران وخارجها، وأصبحت كل قرية ولله الحمد مربوطة بأختها في كافة أنحاء المنطقة، ولكنها لا تزال تنتظر السفلتة، ولكل مواطن زهراني في حكومتنا بعد الله سبحانه وتعالى أمل كبير في إنجاز ذلك سريعاً، فلقد عودتنا دائما تحقيق كل ما من شأنه إسعاد المواطنين في كافة أرجاء البلاد.



القديم والحديث في العمارة في بلاد زهران

ويخترق خط الجنوب بلاد زهران من شمالها إلى جنوبها، وقد قامت إدارة الطرق في الباحة بجهود طيبة في شق الطرق إلى قرى المنطقة في السراة، وسيتم قريباً إن شاء الله سفلتة بعض الخطوط المتفرعة من الخط العام، ومنها الطرق المؤدية من الباحة إلى كل من بلاد دوس، ووادي بيدة، وغيرهما، تلك الطرق التي ستخدم ولا شك عدداً كبيراً من القرى، وهنالك دراسة لفتح وتعبيد بعض الطرق الهامة في تهامة زهران، ويربط طريق عقبة الباحة وطوله (٤٧) كيلومتراً، سراة غامد وزهران بتهامة، ويعتبر هذا الطريق أحد المشاريع الهامة بمنطقة الباحة حيث يتخلله (٦٤) جسراً، مجمل أطوالها (٥٧٤٧) متراً، و(٣٤) نفقا مجموع أطوالها ٢٠١١ متراً بتكلفة إجمالية تزيد على خمسمائة مليون ريال. ويلاحظ أن هذا الطريق يختصر المسافة بين سراة زهران وغامد وتهامة، ويخفف الضغط المروري على طريق الطائف ـ نجران.

ثبت المصادر والمراجع

ا ـ كتب عربية قديمة :

* ابن الأثير، عز الدين على بن محمد (ت ٦٣٠هـ).

١ ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٥هـ.

٢ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ.

* الأزدي، يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ).

٣ ـ تاريخ الموصل، القاهرة ١٣٨٧هـ.

* الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت ٢٥٠هـ).

٤ ـ أخبار مكة، غتنقة ١٣٧٥هـ.

* الأصفهاني، على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ).

٥ ـ الأغاني، بيروت ١٣٨٣هـ.

* الآمدى، الحسن بن بشر (ت ٣٧١هـ).

٦ ـ المؤتلف والمختلف، القاهرة ١٣٨١هـ.

* الألوسى : محمد محمود شاكر.

٧ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٣هـ.

* ابن الأنبارى، عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ).

٨ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة الأندلس، بغداد ١٣٩٠هـ.

* الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).

٩ ـ البيان والتبيين، بيروت ١٣٨٨هـ.

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ).

١٠ـ المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١١ـ المنمق في أخبار قريش، دار المعارف العثمانية حيدار أباد الدكن ١٣٨٤هـ.

* ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

١٢ـ الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر، بيروت ١٣٢٨هـ.

* ابن حزم، علي بن محمد (ت ٤٥٦ هـ).
١٣ـ جمهرة أنساب العرب، دائرة المعارف، القاهرة ١٣٨٢هـ.
* ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).
١٤ـ وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت.
* ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ).
١٥ـ الاشتقاق، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٨هـ.
* الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).
١٦ـ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.
* الزبيري، المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ).
١٧ ـ نسب قريش، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ).
١٨ـ الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت.
* السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ).
١٩ـ الأنساب، دائرة المعارف العثمانية، حيدار أباد الدكن ١٣٨٢هـ.
* السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١هـ).
٢٠ـ الروض الأنف، مطبعة الجمالية، القاهرة ١٣٣٢هـ.
* الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
٢١ـ تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٧هـ.
* ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ).
٢٢ـ العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨١هـ
* ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ).
٢٣ـ التاريخ الكبير.
* القالي، اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ).
٢٤ـ الأمالي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
* القرطبي، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ).
٢٥ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ.
* الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ).

٢٦ـ كتاب الأصنام، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٣هـ.
* المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ).
٢٧ـ معجم الشعراء، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٤هـ.
* ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).
٢٨ـ لسان العرب، دار صادر، بيروت.
* المسعودي، على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ).
٢٩ـ مروج الذهب، دار الأندلس، بيروت ١٣٨٥هـ.
* ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت ٢٠٧هـ).
٣٠ـ الفهرست، المطبعة الرحمانية، القاهرة.
* الواقدى، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).
٣١ـ كتاب المغازى، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت.
* ابن هشام، عبدالملك بن هشام (ت ٢١٣هـ).
٣٢ـ سيرة النبي ﷺ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
* الهمذاني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ).
٣٣ـ صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٧هـ.
* ياقوت، شهاب الدين ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ).
٣٤ـ معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٥هـ.
٣٥ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ.
* اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح (ت ٣٨٤هـ).
٣٦ـ تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٣٧٩هـ.
* أبويعلى، الحسن بن محمد.
٣٧ـ طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

ب ـ كتب عربية حديثة :

* أمين الريحانى .

٣٨ـ تاريخ نجد وسيرة الملك عبدالعزيز، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت .

* أحمد عبدالغفور عطار.

٣٩ـ مقدمة كتاب الصحاح، الطباعة الثالثة، بيروت ١٤٠٢هـ.

* جواد على .

٤٠ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٦هـ.

* حمد الجاسر.

٤١ـ في سراة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض ١٣٩١هـ.

* خيرالدين الزركلى .

٤٢ـ الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ

* صلاح الدين المختار.

٤٣ـ تاريخ المملكة العربية السعودية .

* عمر رضا كحالة .

٤٤ـ جغرافية شبه جزيرة العرب .

٤٥ـ معجم المؤلفين، دار أحياء التراث العربي، بيروت .

* فؤاد حمزة .

٤٦ـ في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض ١٣٨٨هـ.

* يوسف خليف .

٤٧ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف القاهرة ١٣٧٩هـ.

المحتويات

الصفحة

مطابع جامعة الملك سعود











محمد بن مسفر بن حسين الزهراني

حياة المؤلف

- تاريخ الميلاد ومكانه: ١٣٦٣هـ وادي قريش ببلاد زهران.
- الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمكة المكرمة.
- الدراسة الجامعية: بكالوريوس تاريخ ١٣٨٧هـ، من كلية الآداب ـ جامعة الرياض.
- من ١٣٨٧هـ حتى ١٣٩١هـ
  عمل الباحث بوزارة المعارف:
  ١ ـ مدرساً للمواد الاجتماعية بمتوسطة وثانوية الأطاولة ببلاد زهران ـ منطقة الباحة
  ٢ ـ موجها تربويا مساعداً.
  ٣ ـ مديراً لمكتب التعليم بالأطاولة.
- في سنة ١٣٩١هـ انتقل الباحث الى جامعة الرياض سابقاً في وظيفة معيد بقسم التاريخ في كلية الآداب
- في سنة ١٣٩٣هـ ابتعث الباحث الى جامعة Exeter ببريطانيا لدراسة الماجستير.
- في سنة ١٣٩٥هـ حصل الباحث على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي.
- ١٣٩٦هـ عمل الباحث محاضراً بقسم التاريخ ـ كلية الآداب جامعة الرياض.
- ١٣٩٧هـ ابتعث الباحث الى جمهورية مصر العربية لتحضير الدكتوراه
- ١٣٩٩هـ حصل الباحث على درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأو
- ١٣٩٩هـ عمل الباحث استاذاً مساعداً بقسم التاريخ بكلية الآداب الرياض.
- ١٤٠١هـ انتقل الباحث الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وع لعمادة شؤون المكتبات.
- ويعمل الباحث حالياً استاذاً مشاركاً بقسم التاريخ والحضارة بكل الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.